

# الحُبُّ وَالْجَمَالُ عند العرب

صفات الحب وأغراضه وأنواعه ومختارات وطرائف مما قيل في العشق والجمال  
والغزل ووصف النساء ومقاطيع رائقة ونوادر فائقة للشعراء العشاق  
من كل لفظ شائق بديع ومعان كأنها زهر الريم

بقلم  
العلامة المحقق المنفور له  
أحمد نيمور باب

دار الكاتيب العربى

1912

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى حكم بعده فقهر ، ودبر بلفظه فيسر ، وألف بين من شاء من أحبائه وجعلهم أحبباً ، وجعل لمجالس الأنس من الفضلاء والندماء ألباباً ، فهم يتذكرون النوادر والأخبار ، ويستقنون فى تلك الأوقات منادمة الأصحاب وتفاشد الأشعار . أحده على كلّ نعمة ، وأشكره إذ جعلنا من خير هذه الأمة ، وأستغفره من كلّ ذنب يوجب النعمة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تجبرنى من الخطايا والزلل ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبرأ من النقص والخلل ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه التابعين وتابع التابعين . وبعد : فهذا مجموع يشتمل على فصول تحوى مقاطيع رائعة ، وقصائد فائقة ، من كلّ لفظ بديع ومعان كأنها زهر الربيع ..

(١) عثرت اللجنة بين مخلفات المؤلف على الجزء الأول من مقدمة لهذا الكتاب ، ولم نجد أثراً لبقية أجزاء المقدمة . ولعله رحمه الله ترك استكمالها حتى يتم جميع مواد الكتاب . ولما لم يعمل الأجل تحقيق ما توخاه ، آثرنا إثبات هذا الجزء من المقدمة كما وجدناه ..

## دعاء مأثور

من أفضل ما سئل الله - عزّ وجلّ - حبّه وحبّ من يحبّه وحبّ عمل يقرب إلى حبّه .  
ومن أجمع ذلك أن يقول المرء في دعائه :

اللهم إني أسألك حبّك ، وحبّ من يحبّك ، وحبّ عمل يقربني إلى حبّك .  
اللهم ما رزقتني مما أحبّ ، فاجعله قوّة لي فيما تحبّ . وما زويت عني مما أحبّ ،  
فاجعله فراغاً لي فيما تحبّ .

اللهم اجعل حبّك أحبّ إليّ من أهلي ومالي ، ومن الماء البارد على الظمأ .  
اللهم حبّني إليك وإلى ملائكتك وأنبيائك ورسلك وعبادك الصالحين .  
اللهم أخى قلبي بحبّك ، واجعلني لك كما تحبّ .  
اللهم اجعلني أحبّك بقلبي كلّه ، وأرضيك بمجهدى كلّه .  
اللهم اجعل حبّي كلّه لك ، وسعبي كلّه في مرضاتك .

\*\*\*

بقلم الأديب الشاعر  
الأستاذ عبد السلام شهاب  
عضو اللجنة التيمورية والمحرم بالأهرام

لم يكن عجباً ، أن يعنى بأمر الحبّ والجمال ، عالم أديب ، حجة في اللغة والتاريخ وغيرها من العلوم والفنون ، واشتهر إلى ذلك بالتزام الوقار والمحافظة على التقاليد الدينية والاجتماعية ، هو المنفور له العلامة « أحمد تيمور باشا » صاحب هذا الكتاب .

فن قبل ذلك بمئات السنين ، عنى بأمر الحبّ والمحبين ، كثير من أكابر العلماء والأدباء ، وذوى المكانة الرفيعة والكلمة الموقرة المطاعة ، في شئون الدين وشئون الدنيا على السواء .

وسيطالع قراء الكتاب ، فيما تضمّنه من آراء وأحاديث ونوادر وأشعار وغيرها ، أسماء عشرات من هؤلاء وهؤلاء ، وفي مقدمتهم : أنبياء وخلفاء وسلاطين ، وفلاسفة وفقهاء ومتصوفون ، بل سيجدون كذلك أن موضوع الحبّ والمحبين قد اختصّ بكتاب كامل من أهمّ كتب التراث العلمى والأدبى العربى ، هو كتاب « طوق الحمامة في الألفة والألاف » الذى قام بتأليفه منذ أكثر من تسعمائة سنة أحد أئمة المسلمين المشهود لهم بالورع والتقوى والافتداء ، هو الوزير الفقيه الفيلسوف أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى ، وقد فصل فيه عناصر الحبّ وصفاته وآفاته ، وساق أمثلة من تجاربه الخاصة فيه ، وملاحظاته على المحبين من أهل عصره ومخالطيه ، وأكد بالأدلة القاطعة المقبولة ، أن « الحبّ ليس بمنكر في الديانة ، ولا بمحظور في الشريعة » .

وتمرّضت كتب أخرى كثيرة ، لهذا الموضوع الشائق ، منها كتاب « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » ، للعلامة الشيخ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

والمستقرى لتواريخ الأمم والشعوب ، قديمها وحديثها ، وكبيرها وصغيرها ، لا بدّ واجدٌ أنّها كلّها - دون استثناء - تشترك في معرفة الحبّ ومعاناته ، وفي تقدير أهمّيته في حياة الفرد والمجتمع . ثمّ هو إلى جانب ذلك لن يفوته أن يلاحظ أن « الحبّ والجمال عند العرب » لهما مقام أسنى ومنزلة أعظم . فإذا هو التمس أسباب هذا ودواعيه ، فما أيسر أن يتبيّن فيها توافر للعرب في بيئتهم الخاصة ، من فطرة سليمة وإحساسٍ مرهفٍ ، ومن تذوّقٍ دقيقٍ واعٍ لما يحيط بهم من روائع الجمال وبدائمه ، متمثّلة في مناظر صحرائهم ، بما اشتملت عليه أرضها من رمالٍ وتلالٍ وجبالٍ مختلفة الألوان ، وبما اشتملت عليه سماءها من غيومٍ ونجوم ، تسحر العيون والألباب .

فإذا أضيف إلى ذلك ما امتاز العرب به من كثرة الترحال والانتقال انتجاعاً للرّزق ، ومن فصاحة اللسان والجنان ، والقدرة على التعبير عن عواطفهم ومشاعرهم بصدقٍ وإخلاصٍ ، فهذان برهانا آخران على أنّهم خلّقوا ليكونوا أحقّ بالحبّ وأهله ، وأقدر على حمل تبعاته وأصدق تصويراً له وتعبيراً عنه .

وقد تفتّى بجمال الحبّ وحبّ الجمال فطاحل الشعراء العرب ، منذ عصر الجاهلية . ولم تخل من الحديث عن ذلك أو الاستهلال به أكثر القصائد الكبرى التي قدّسها العرب الجاهليون وعلّقوها على الكعبة تشريفاً لأصحابها ، وتقديراً لبلاغتها فيما أكّد كثير من الرواة .

وفي أشهر هذه « المعلقات » يقولُ امرؤ القيس بن حجر الكندي :

أَفَاطِمُ : مَهَلًا ، بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ      وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أْزَمَعْتُ صَرْمِي فَأَجْمِلِي  
أَغْرَكِ مَتْنِي أَنْ حَبَّكَ قَاتِلِي      وَأَنْتَكِ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ ؟

ويفتح الحارث بن حلزة اليشكري معلقته بقوله في حبيبته « أسماء » :

أَذَنْتَنَا بَيْنِنَا أَسْمَاءَ رُبَّ ثَاوٍ يَمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

أما طرفة بن العبد ، فقد أكمل معلقته مائة بيت ابتدأها بالشوق إلى « خولة » محبوبته ، فذكر أطلال ديارها ، ومراكبها التي حملتها بعيداً منه ، ومراكبها التي يمضي عليها هائماً مشتاقاً إلى اللقاء ، ومطلع معلقته :

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِرَقَةٍ تَهْمَدُ تَلُوحُ كَبَاقِي الْوِثْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

ويقول عنزة بن شداد العبسي في معلقته ، موجهاً الخطاب إلى عبلة ابنة عمه :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرَّمَّاحُ نَوَاهِلُ مَنِيَّ وَبَيْضُ الْهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي  
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ الشُّيُوفِ لِأَنْهَا لَمَعَتْ كَبَارِقُ نَفْرِكِ الْمُتَبَسِّمِ

ويفتح النابغة الذبباني معلقته ، بذكر « مية » حبيبته وديارها التي أقفرت من

أهلها فيقول :

يَا دَارَ مِيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالسَّنْدِ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمَدِ  
أَضَحَّتْ خَلَاءُ وَأَضْحَى أَهْلُهَا اخْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدِ

ويقول ذو الأصبع العدواني ، يشكو فراق محبوبته « رياء » :

يَا مَنْ لِقَلْبٍ طَوِيلِ الْبَثِّ حَزُونِ أَمْسَى تَذَكَّرَ رِيًّا . . أُمَّ هَارُونَ  
فَقَدْ غَنِينَا وَشَمَلُ الدَّارِ يَجْمَعُنَا أَطِيعُ رِيًّا ، وَرِيًّا لَا تَعَايِنِي  
تَرْمِي الْوُشَاةَ فَلَا تَخْطِي مَقَاتِلَهُمْ بِصَادِقٍ مِنْ صَفَاءِ الْوُدِّ مَكُونِ

ويقول السموءل بن عادباء من قصيدة له يشكو فيها مرارة العذل ، ويؤكد أنه لن

ينتهي عن حبِّ صاحبتة مهما يطلَّ عذله ولومه :

أَعَاذَلْتِي : أَلَا - لَا تَمْدِلِينِي فَكَمْ مِنْ أَمْرٍ عَاذِلَةٍ عَصَيْتُ  
دَعِينِي وَارْشُدِي إِنْ كُنْتُ أُغْوِي وَلَا تَغْوِي - زَعَمْتَ - كَمَا غَوَيْتُ

أَعَاذِلُ : قد أطلت اللّومَ حتّى لو أنى مُنتَهٍ . . . لقد انتهيتُ  
وحتّى لو يَكُونُ فتى أناسٍ بكى من عَذَلٍ عَاذِلِهِ ، بكيتُ  
وأى تعبير عن الحبّ ، أرقُّ وأعذبُ وأنفذُ إلى القلوب قبل الأسماع ، مما عبّر عنه  
الشاعر الجاهلي المنخل اليشكري في بساطة محبّبة ، فقال :  
وأحبّها ، وتحبّنى ويحبُّ ناقهاً بعيرى !

وإذا كان هذا هو شأن « الحبّ عند العرب » في جاهليتهم فلا شكّ في أن حظهم منه  
قد أصبح أوفر ، بعد أن جاء الإسلام فألّف بين قلوبهم ، ورّقق من طباعهم ومما بهم درجات  
في تنظيم العلاقات بين الجنسين . وقرّر للمرأة حقوقاً لم تكن لها قبله ، وحرّم البناء .  
وأوجب معاشرّة النساء بالمعروف ، أو مفارقتهنّ بالمعروف .

وقد استوصى النّبى عليه الصّلاة والسلام بالنساء خيراً ، وقرّر أن « خير متاع الدّنيا  
المرأة الصّالحة » . وقال : « حُبِّبَ إلَيَّ من دنيّاكم ثلاث : النساء والطّيبُ وقُرّةُ عيني  
في الصّلاة » .

وجاء الخلفاء الراشدون ، فتهجّوا نهجهم ، واتّبّعوا سنّته . وأصبح معنى الحبّ مرادفاً  
لمعنى العفة والرّغبة في استكمال الدين عند المسلمين .

وقد روى أن الخليفة الثّانى عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، أصاب في زمانه ناساً من  
هذيلٍ ، فخرجت جارية منهم ، فاتبعها رجلٌ يريدّها عن نفسها ، فرمته بحجر ففضّنت  
كبده . فقال عمر : هذا قتيل الله ، والله لا يودى أبداً .

كذلك أفتى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما - بأنّ قتيل الهوى لا دية فيه  
ولا قصاص .

وفى أخبار الوالى العربى زياد بن أبى سفيان ، أنه قال لجلسائه يوماً : من أنعمُ الناس  
عيشة ؟ قالوا : أمير المؤمنين . فقال وأين ما يلقى من قرش ؟ قالوا : إذن أنت . فقال :  
وأين ما ألقى من الخوارج والشنود ؟ قالوا : فمن أنعمُ الناس عيشة أيّها الأمير ؟ فقال :



رجل مسلم ، له زوجة مسلمة ، لهما كفاف من العيش . وقد رضيت به ورضى بها ، لا يعرفنا ولا نعرفه .

وقد حرص أكثر الشعراء العرب بعد الإسلام على التزام ما كان عليه أسلافهم قبله ، من استهلال قصائدهم بالفزول والتشبيب بالنساء .

وروى أن النبي - صلوات الله وسلامه عليه - أعرب عن استحسانه هذا التقليد الأدبي ، حينما أنشده الشاعر كعب بن زهير قصيدته التي مدحه فيها واستهلها بقوله :

بَانتَ سُمَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ مُتَمِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يَفِدْ مَكْبُولُ  
وَمَا سُمَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَغْنَى غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

وكان الخليفة العباسي هرون الرشيد يقسم أعوام حكمه : عاماً لحج البيت الحرام ، وعاماً للجهاد في سبيل الله . ومع هذا كان يستحسن أشعار الفزول ووصف لواجع الحب ، ويميز عليها ويرويها . بل كان هو نفسه فيما يقول الرواة يسابق الشعراء في هذا المضمار فيقول :

مَلَكَ الثَّلَاثَ الْآنَسَاتُ عِنَانِي وَحَلَلَنِي مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ  
مَالِي تَطَاوَعِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأُطِيعَنَّ وَهْنِي فِي عِصْيَانِي ؟  
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى وَهُوَ الضَّعِيفُ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي !

وقد حفل تاريخ الأدب العربي بروائع خالدة من قصص الحب وأبطاله وبطلاته ، وكثير منهم ينطبق عليهم القول المأثور : « من أحب ففء فأت ، مات شهيداً » وما زالت قصصهم تضرب مثلاً على الإخلاص والوفاء .

من هؤلاء : مثلاً : جميل بن معمر صاحب بئينة الذي يقول فيها :

وَإِنِّي لِأَرْضَى مِنْ بُئِينَةٍ بِالَّذِي لَوْ أَبْصَرُهُ الْوَاشِي أَقَرَّتْ بِلَابِلُهُ  
بـ « لا » ، وبألا أستطيع ، وبألني وبالأمل المرجو قد خاب آمله  
وبالنظرة العجلى ، وبالحول تنقضى وأخيره لا نلتقى وأوائله

وكان يرضى منها بالقليل كما أشار في البيتين ، وكما قال في بيت آخر :  
أَقْلَبُ طَرْفِي ، فِي السَّاءِ لَعْلَهُ يُوَافِقُ طَرْفِي طَرْفَهَا حِينَ يَنْظُرُ .

ومنهم جميل وبثينة ، من قبيلة عذرة المشهورة بالعشق والجمال ، وقد تحاببا صغيرين ،  
فلما كبر خطبها ، فرفض أهلها أن يزوجوها ، ومنعوه رؤيتها ، وهددوه بالقتل فلم يعبأ  
بتهديدهم ، ولامه أبوه على استهتاره ومخاطرته بنفسه ، فردّ عليه قائلاً :

« يَا بَتِ : هل رأيت أحداً قدر أن يدفع عن قلبه هواه ، أو ملك أن يسلي نفسه .  
والله لو قدرت أن أحو ذكرها من قلبي ، أو أزيل شخصها من عيني ، لفعلتُ . ولكن  
لا سبيل إلى ذلك ، وإنما هو بلاء قد بليت به لحن قد أتيح لي . على أني أمتنع عن طروق  
هذا الحى والإلام به ولو مت كمدًا . وهذا جهدى ومبلغ ما أقدر عليه . وما زال على حبه  
لها حتى قضى أسى ولوعة لفراقها .

ومنهم قيسُ لُبْنَى . وكان قد تزوجها . وسعدا بتبادل الحب حينا ، ثم طلقها تزولا  
على إرادة أبيه . ولم ينفعه الندم بعد ذلك فهام على وجهه ينشد السلوان . لكنه لم يستطع  
صبرا على فراقها ، وظلّ يذكرها حتى مات .

ومنهم توبة بن الحمير وصاحبه ليلي الأخيلية ، وفيها يقول :  
ولو أن ليلي الأخيلية سَلَمَتْ عَلَى وَدُونِي تَرْبَةً وَصَفَاحُ  
لَسَلَمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ . . زَقَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَاحُ

ومنهم كثير وصاحبه عزة ، وعمر بن أبي ربيعة وصاحبه الثريا ، وقيس بن الملوّح  
مجنون ليلي ، وقيس بن ذريح وصاحبه لُبْنَى ، وعروة بن حزام وعفراء ، وكثير غيرهم  
من المشاق العرب في مختلف العصور والبلدان .

ولقد كان صاحب هذا الكتاب ، يعدُّ في طليعة المشهود لهم بالتمعق في دراسة تاريخ العرب وعلومهم وآدابهم وفنونهم، وسبق أن أخرجت له لجنة نشر المؤلفات التيمورية طائفة من الكتب القيمة في جهرة من هذه الفنون والآداب والعلوم ، آخرها « الموسيقى والغناء عند العرب » أما هذا الكتاب « الحبّ والجمال عند العرب » فقد عثرت اللجنة على أكثر أصوله بخطّ المؤلف بين ما خلف من مخطوطات لم يقدر لها أن تطبع في حياته . وقد جمع رحمه الله هذه الأصول من مئات الكتب والمخطوطات التي اشتملت عليها مكتبته . وترك جزازات أشار فيها إلى موضوعات مماثلة في كتب ومخطوطات أخرى كان يعتزم إضافتها إلى الأصول ، فتولّت اللجنة هذه المهمة لتكمل الكتاب على النحو الذي أراده .

والكتاب يشتمل على عشرة أبواب : أوّلها في « صفات الحبّ وأغراضه » . وفيه فصول متفرقة أهمّها عن ماهية الحبّ ومعنى الحب والمحبوب وعشق الشرف وعشق الجمال وأحلام المحبّين والحبيب الأوّل والحبيب الآخر والحبّ مع اختلاف الدّين . . . . .  
والباب الثاني عن « أنواع الحب » وتندرج تحته فصول عن حبّ الولد وحبّ الأيّم واليتامى ، وأمثال في الحبّ ، وحجة بالغة .

والباب الثالث عن « حبّ الأزواج » وفيه فصول عن زواج النبي من خديجة وحبّها له وتقديره لها وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة ، على اختلاف ألوانه .

والرابع عن « الشعراء العشاق » وما قيل منهم في معشوقاتهم .  
والخامس عن « الحب والجمال » وفيه فصول حبّ امتداح النساء ووصف جملهن على اختلاف في ألوان الوصف والتشبيه وأسماء النساء .

والسادس عن « الغزل ووصف النساء » .  
والسابع عن « العيون وما قيل فيها » نثراً ونظماً مع رسالة في معاني لفظ « العين » وآفة النظر وغائلته .

والثامن عن « تعدد الزوجات والأزواج » وفيه فصول عن حكمة التعدد في الإسلام إلى كشف وجه المرأة في الإحرام .

والتاسع عن « عداوة النساء » وأن طاعتهن تردى العقلاء وتذلّ الأعزاء .  
أما الباب العاشر فحوى « طرائف عن الحب » وفيه فصول عن المرأة بين الحب والمال  
ومن الحب إلى الزهد وغيرها من ضروب أخرى إلى محبة الأعداء .  
وإنا لعلّى يقين من أن هذه الأبواب والفصول كلّها - وقد اجتمعت مفصلة وموضحة  
في هذا الكتاب الجديد - جديرة بأن تجعله - كما أراد مؤلفه العلامة المحقق المنفور له  
أحمد تيمور باشا رحمه الله - ذا نفع كبير للأدباء والتأديين ولقراء العربية أجمعين ،  
والله وليّ التوفيق .

---

## صفات الحب وأغراضه

الحب ما هو ؟

قال أبو بكر الورّاق : سأل المأمون عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب ما هو ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : إذا تقادحت جواهر النفوس التقاطعة بوصل المشاكلة ، انبعثت منهما لمحة نور تستضيء بها بواطن الأعضاء ، فتتحرك لإشراقها طبائع الحياة . فيصور من ذلك خلقٌ حاصرٌ للنفس متصل بخواطرها يسمى الحب .

وسئل حمّاد الراوية - عن الحب ما هو ؟ فقال : الحب شجرة أصلها الفكر . وعروقه الذّكر ، وأغصانها السّهر ، وأوراقها الأسقام ، وثمرتها النّية .

وقال مُعَاذُ بْنُ سَهْلٍ : الحبُّ أصعب ما رُكِبَ ، وأسّكر ما شُرِبَ . وأقطع ما لُقِيَ ، وأحلى ما اشْتَهِيَ ، وأوجع ما بَطَنَ ، وأشهى ما عَلَنَ . وهو كما قال الشاعر :

وللحبِّ آفاتٌ إذا هي صرّحتْ      تَبَدَّتْ علاماتٌ لها غُرُرٌ صُفْرُ  
فباطنُهُ سُقْمٌ وظاهرُهُ جَوَى      وأوّلُهُ ذِكْرٌ وآخرُهُ فِكْرُ

وقال بشار العقيلى :

هل تعلمين وراء الحبِّ منزلةً      تُدْنِي إِلَيْكَ فَإِنَّ الْحَبَّ أَقْصَانِي

وقال غيره :

أَحِبِّكَ حُبًّا لَوْ تُحِبِّينَ مِثْلَهُ      أَصَابَكَ مِنْ وَجْدٍ عَلَى جُنُونِ  
لطيفاً من الأحشاء ، أمّا نهارة      فَدَمْعٌ ، وأمّا لَيْلُهُ فَأَيْنِ

وقال الفقيه الفيلسوف أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم ، فى كتاب طوق الحمامة فى الألفة والألف : الحبُّ أوّلُهُ هزلٌ وآخرُهُ جدٌّ . دَقَّتْ معانيه - لجلالته - عن أن توصف

فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة . وليس بمنكر في الديانة ، ولا بمحذور في الشريعة .  
إذ القلوب بيد الله عز وجل .

وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير .

وأفتى ابن عباس بأن قتل الحب لا دية له . والحب اتصال بين أجزاء النفوس .

وقال الله عز وجل :

« هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ... » .

وللحب علامات منها : إدمان النظر إلى المحبوب والإقبال بالحديث إليه ، والإنصات إلى حديثه ، وتصديقه وإن كذب ، وموافقته وإن ظلم ، والشهادة له وإن جار .

ومن أفضل ما يأتيه الإنسان في حبه : التعمف ، وترك ركوب المعصية والفاحشة .

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبعة يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إمام عادل ، وشاب نشأ في طاعة الله عز وجل ، ورجل قابله مملق بالمسجد إذا خرج منه لا يلبث حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل تصدق فأخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » .

### الحب والمحجوب<sup>(١)</sup> :

قولهم : أحببت حبا : الحب ليس بمصدر لأحبيت ، إنما هو عبارة عن الشغل بالمحجوب ، ولذلك جاء على وزنه مضموم الأول ومن ثم جمع كما يجمع الشغل ، قال : ثلاثة أحباب : حُبُّ علاقة ، وحُبُّ الخَلَّان ، وحُبُّ هو القتل .

وكما كان الفعل أعم وأشيع ، لم يكن لذكر مصدره معنى . ولولا كشف الشاعر لاختلاف أنواع الحب ما كدنا نعرف مافيه من العموم وأنه - في معنى الشغل كما تقدم .

وقد أنشدوا في الصحاح بيتين هما :

أَحِبُّ أَبَامِروانَ مِنْ أَجْلِ تَمَرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحَبَّ بِالْمَرْءِ أَرْفَقُ  
وَوَاللَّهِ لَوْلَا تَمَرُهُ مَا حَبَبْتُهُ وَكَانَ عِيَاضٌ مِنْهُ أَذَنِي وَمُشْرِقُ

ولما جاءوا إلى اسم الفاعل - أتوا بالاسم الرباعي حتى كأنهم لم ينطقوا بالثلاثي فقالوا :  
حَبُّ ولم يقولوا : حَابُّ أصلاً . وجاءوا إلى المفعول فأتوا به من الفعل الثلاثي - في الأكثر  
فقالوا : محبوب ، ولم يقولوا : مُحَبُّ - إلا نادراً كما قال :

ولقد نزلت فلا تظنني غيره مني بمنزلة المحبِّ المكرم

فهذا من : أُحِبْتُ - كما أن المحبوب من : حَبِيتُ ، ثم استعملوا لفظ الحبيب في :  
المحبوب ، أكثر من استعمالهم إياه في الحب ، مع أنه يطلق عليهما .

فمن مجيئه بمعنى المفعول قول ابن الدُّمَيْنَةِ :

وإن الكتيب الفرد من جانب الحمى إلى وإف لم آتِه لَحَبِيبُ

أى : للمحبوب . ومن مجيئه للفاعل - قول المجنون :

أتهجر لي بالفراق حبيبها وما كل نفس بالفراق تطيب

فهذا بمعنى : محبها . وربما قالوا للحبيب : حَبُّ : مثل خدن ، نَحْدُنُّ وخدينٌ مثل :  
حَبٌّ وحبيب . وإذا ثبت هذا فقوله : الحبُّ ليس بمصدر لأحبيت ، إنما هو عبارة عن الشغل  
بالمحبوب ، وأجروه على الفعل الرباعي استثناءً عن مصدره ، وهذا لكثرة ولوع أنفسهم  
بالحب والسنتهم به ، فاستعملوا منه أحبَّ المصدرين استثناءً به عن أتقلهما .

فلما كان الحبُّ ملازماً لذكر محبوبه ، ثابت القلب على حبه ، مقيماً عليه لا يروم عنه  
انتقالاً ولا يبنى عنه زوالاً ، اتخذله في سويداء قلبه وطناً ، وجعله له سكناً ، حيث  
قال :

ترول الجبال الراسيات وقلبه على المهدي لا يلوى ولا يتغير

وفي شرح لامية المعجم . . للصفدي :

فالحبُّ حيثِ العدا والأسدُ رابضةٌ حول الكِنَاسِ لها غابٌ من الأسَلِ

الحب - بالضم : المحبة ، وبالكسر : الحبيب نفسه . قال ابن الأنباري :

« الحب هو الحبيب . يقال للمذكر والمؤنث بلفظ واحد » . ويحكي عن بعض العرب

أنهم يقولون : فلانة حَبَّتِي .

\*\*\*

### عشق الشرف وعشق الجمال :

قال عروة بن الزبير رحمه الله : « ما عشقت من امرأة قط إلا حسن شرفها ، فإنني

لأعشق الشرف كما أعشقُ الجمال » .

وإنما أراد الحب ، وصراحة النسب ، كما قال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام :

« ما عشقت من امرأة قط إلا حسبها » .

وقال كثيرُ الشاعر :

وأنت التي حببتِ كلَّ قصيرةٍ إلى وما تدري بذاك القصارُ

ولم يرد : القصيرة القدة ، وإنما أراد المقصورة في الجمال ، من قولك : قصره ، إذا حبسه .

والمقصورة هي : المحجوبة . ومنه قول الله تعالى : « حورٌ مقصوراتٌ في الخيام » أي :

محبوسات . وقوله تعالى : « فيهن قاصراتُ الطرفِ » أي : قصرن نظرهن على أزواجهن

فلا يبينن بهن بدلاً .

ويدل على مراد كثير في بيته ، قوله في البيت الذي بعده :

عنيتُ قصيراتِ الحجالِ ولم أَرُدْ قصارَ الخطى ، شرَّ النساءِ البحارُ

والبحارُ : القصار .



## أحلام المحبين :

كان أبو القاسم عليّ الشريف المرتضى شاعراً عفّ اللسان، يهوى الحُسن أينما وجدّه،  
وينحو فيه منحي طاهراً بريئاً. واشتهر بحبّ الجمال العذريّ ... وقد عشقَ الأدبَ الرفيع،  
كما عمّرَ فوقَ الثمانينَ عاماً ، حيث ولد سنة ٣٥٥ وتوفى سنة ٤٣٦ هـ - ومن شعره :

ضَنَّ عَنِّي بِالنَّزْرِ إِذْ أَنَا يَقْظَا      نُ وَأَعْطَى كَثِيرَهُ فِي النَّامِ  
والتَّقِينَا كَمَا اشْتَهَيْنَا وَلَا عَيْ      بِ سَوَى أَنْ ذَاكَ فِي الْأَحْلَامِ  
وَإِذَا كَانَتْ الْمَلَاقَةُ لَيْلًا      فَالْإِلَى خَيْرٍ مِنْ الْأَيَّامِ

وقال الشريف الرضى ( أخوه ) وكان شاعراً مثله يتفق معه في هواه وجبه وعشقه  
للحُسن والجمال :

بِتَنَا خَجِيمَيْنِ فِي ثَوْبَيْ هَوًى وَتُفًى      يَلْفُئَا الشَّوْقُ مِنْ فَرْقٍ إِلَى قَدَمِ  
وَبَاتَ بَارِقُ ذَاكَ الثَّغْرِ يُوضِحُ لِي      مَوَاقِعَ الْأَثَمِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

\*\*\*

## الحبيب الأول والحبيب الآخر :

قال حبيب الطائي :

قُلْ فَوَإِذَاكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى      مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ  
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلِفُهُ الْفَتَى      وَحَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

وقد ردّ عليه شعراء آخرون . فمن ذلك قول بعضهم :

افْخَرِ بِأَخْرٍ مِنْ كَلَفْتِ بِحَبِّهِ      لَا خَيْرَ فِي حَبِّ الْحَبِيبِ الْأَوَّلِ  
أَنْشُكُ فِي أَنْ النَّبِيِّ مُحَمَّدًا      سَادَ الْبَرِيَّةِ وَهُوَ آخِرُ مُرْسَلٍ ؟ !

ومنه قول ديك الجن الحمصي :

كذب الذين تحدّثوا أنّ الهوى لا شكّ فيه للحبيب الأول  
ما لم أحنّ إلى خراب مقفر درست معالمة كأنّ لم يؤهل

فقال حبيب « حين بلته قول ديك الجن » :

كذب الذين تحرّصوا في قولهم ما الحبّ إلاّ للحبيب الأول  
أو طيّب في الطعم ما قد ذقته من ما كلّ أو طعم ما لم يؤكل  
قال الملوّى الأصهباني (١) :

دع حبّ أول من كلفت بحبه ما الحبّ إلاّ للحبيب الآخر  
ما قد تولّى لا ارتجاع لطيبه هل غائب اللذات مثل الحاضر؟  
إنّ الشيب وقد وفي بمقامه أوفى لدىّ من الشّباب الغادر  
دُنْيَاكَ : يومك دون أمسك فاعتبر ما السالف المفقود مثل الغابر

### الحبّ مع اختلاف الدين :

قال أبو الطحّان الأسدّي ، وكان نديماً لفاسيّ من النصارى :

كأنّ لم يكن في القصر، قصر مقاتل وزورة ظلّ ناعم وصديق  
معي كلّ فضايف الثياب كأنّه إذا ما جرى فيه الدّام فتيق  
وإني وإن كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق

\*\*\*

والشيخ رجب الحريرى قصيدة يصف فيها حبه لفتى نصرانى يقول فيها :  
أرقُّ من رَوْحِ الصَّبَا وَأَطْيَبُ كَلَاءُ جُنْمًا بِاللَّحَاطِ يُشْرَبُ  
ولفظه السَّخَرُ الحلالُ يطربُ سَكَرْتُ مِنْهُ وَهُوَ شُهْدٌ يَعَذُّبُ  
فأعجب لُشْهْدٍ مُسَكِّرٍ من سِخْرِ  
قابله بأحسن الكلام مَرَحَبًا مُعَظَّمًا مقامى  
ووجهه الوضاح فى ابتسام وَخَصَّنِي بِاللُّطْفِ والإِكْرَامِ  
وبالجميل والحيا والبشر

\*\*\*

## الحبُّ فى كلِّ حال :

قال عنتره العبسى به يصف حبه لعبله ابنة عمه ، على ظلمها إياه :  
أُحِبُّكَ يَا ظُلُومُ وَأَنْتَ مَنَّى مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ الْجَبَانِ  
وَلَوْ أَنَّى أَقُولُ : مَكَانَ رَوْحِي لَخَفْتُ عَلَيْكَ بَادِرَةَ الطَّعَانِ

وقال بعضهم ، فى الوداع :  
وَدَّعْتُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمُوا وَرَحْتُ وَالْقَلْبُ بِهِمْ مُغْرَمُ  
سَأَلْتُهُمْ تَسْلِيمَةً مِنْهُمْ عَلَى إِذْ رَاخُوا . . فَا سَلَّمُوا  
وَاسْتَحْسَنُوا ظُلْمِي فَمِنْ أَجْلِهِمْ أَحَبُّ قَلْبِي كُلِّ مَنْ يُظْلِمُ

وقال دُعْبَلُ الخزاعى :  
وَقَفَ الْهُوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مَتَأَخَّرُ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمُ  
أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حَبًّا لَذَكَرِكِ فَلْيَكُنْ لِي اللَّوْمُ  
وَأَهْنِئْنِي ، فَأَهْنَيْتُ نَفْسِي صَاغِرًا مَا مِنْ يَهْوٍ عَلَيْكَ يَمْنُ بِكُرْمِ

## حب النساء المال :

قال الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي أَنْسَابِ قُرَيْشٍ <sup>(١)</sup> : كَانَ « نُبَيْهٌ » وَأَخُوهُ مِنْهُ « مِنْ وَجْهِ قُرَيْشٍ ، وَذَوَى النَّبَاهَةِ فِيهِمْ ، وَلَكِنَّهُمَا قُتِلَا « بَيْدَرٍ » كَافِرَيْنِ ، وَكَانَا مِنَ الْمُطْعِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ .

لَقَدْ كَانَ « نُبَيْهٌ » بِضَمِّ النُّونِ وَفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ بِمَدِّهَا « يَاءٌ » سَاكِنَةٌ « فَهَاءٌ » وَكُنِيَّتُهُ « أَبُو الزَّرَّامِ » بِتَشْدِيدِ الزَّاءِ الْمَعْجَمَةِ ، ابْنُ الْحِجَاجِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ حُدَيْفَةَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَهْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْنٍ « بِالتَّصْنِيرِ » بِنِ كَسْبِ بْنِ لُؤَى بْنِ غَالِبٍ . وَكَانَ نُبَيْهٌ شَاعِرًا مُطْبُوعًا عَلَى الْإِجَادَةِ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنْ زَيْدٌ بْنُ عَمْرِو بْنِ ثَقِيلٍ كَانَ يَقُولُ :

تلك عرساي تنطقان لهجرٍ وتقولان قول أثرٍ وعترٍ

فقال نُبَيْهٌ مِنَ الْقَافِيَةِ نَفْسَهَا ، فِي زَوْجَتَيْهِ وَقَدْ سَأَلَتْهُ الطَّلَاقَ :

تلك عرساي تنطقان على عمِّ	دَأْنِ الْيَوْمِ قَوْلَ زُورٍ وَهَثَرٍ
سألتاني الطلاق أن رأنا ما	لى قليلاً . . قد جثمتي بُنْكَرٍ
فلعلِّي أن يكثرُ المالُ عندي	ويعرِّي من الغارمِ ظهري
وتُرَى أعبدُ لنا وأواقٍ	ومناصيفُ من خِوادمِ عَشْرِ
ونَجْرُ الأذْيَالِ فِي نِعْمَةٍ مُمَّ	تقولان : ضَعِ عَصَاكَ لَدَهْرٍ
ويَ كَانَ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ	يُحِبُّ وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعِشُ عَيْشُ ضُرٍّ
ويُحِبُّ سِرَّ النِّجَى وَلَكِنْ	أَخَا الْمَالِ مُحْضَرُّ كُلِّ سِرٍّ

ومن شعره :

قصر الشيء بي ولو كنت ذاماً	ل كثير لأجلب الناسَ حَوَالِي
ولقأوا : أنت الكريمُ علينا	ولحطوا إلى هواي ومِثْلِي
ولكَلْتُ المعروفَ كيلاً هنيئاً	يُعْجِزُ النَّاسَ أَنْ يَكِيلُوا كَكْمَلِي

وله أيضاً :

قالتْ سُلَيْمَى يومَ جئتُ أزورها      لا أبغى إلا امرأً ذَا مالٍ  
لا أبغى إلا امرأً ذَا أنْضُرٍ      كما أسدُّ مفارقٍ وخِلَالِ  
فلا حرصنَّ عَلَى اكتسابِ مُحَبِّبٍ      ولا كَسَبَنَ في عَفَّةٍ وجمالٍ

\*\*\*

## في خلاصة الأثر ج ٢ :

كان الأديب حُسَيْن بن أحمد بن حُسَيْن المعروف «بأبن الجزري» الشاعر المشهور الحلبيُّ أحد المجيدين ، جمع شعره بين الصنعة والرقّة . كان إذا تكلم لا يظنه الإنسان يعرف شيئاً ، وكان له خطأ نسختي غاية في الحسن إلا أنه كان شديد الأخلاق أحياناً ، وكان مغرمًا بشعر أبي العلاء المرّسي ، كثير الأخذ منه ، وأخيراً رآه في منامه وقرأ عليه اللزوميات . وسمعه يقرّر في تلك الرؤيا : أنّ الخير كلّ الخير فيما أكرهتك النفس الطبيعية عليه ، والشرّ كلّ الشرّ فيما أكرهتك النفس عليه .

ومن شعر ابن الجزري :

إن كنت متخذاً لجرحك مرّها      فكتابُ ربِّ العالمين المرّه  
أو كنت مصطحباً حبيباً سالكا      سُبُلَ الهوى فلزوم ما لا يلزم

ومن شعره في النزل :

ما عشتُ من ألمِ الفراقِ      لو لمْ أَطِلْ أَمَلِ التلاقِ  
فأظُلُّ كاللسوعِ من      أنفى النوى ، ورجاى راقِ  
يا نالك القمرين إلا      في الكسوفِ وفي المحاقِ  
حتام دمعى فيك لا      يرقا . . ورؤى في التراقِ  
وإلام يستسقى الفؤاد      دُ ظمًا ، وأجفانى سواقِ

وغريق دمع العين لا      تلقاهُ إلا في احتراقِ  
 والحبُّ ما أروى الصلوة      عَ جوى ، وما أروى المآقي  
 فَمَسَاكَ أَنْ تَجْزِي مُحِبَّةً      كَ في المحبة بالوفاقي  
 ولقد لقيتُ هواكُ أء      ظمَ ما لقيتُ ، وما ألاقِ  
 وصبرتُ فيكَ على العدا      صَبِرَ الأسير على الوثاقِ  
 وعلمتُ أن الصبر يا      عذبَ اللَّعَى مُرَّ المذاقِ  
 فأعرض عن الإعراض إء      راضى لديك عن النِّفَاقِ  
 وارفق ولو بالإلتفا      ت على ما بين الرِّفَاقِ  
 فلقد يكون تَلَفْتُ الأ      عناق داعية العناقِ  
 واستبق مني باللقا      بواقياً ليست بواقِ  
 أعضاء صبَّ ، ماله      إلَّاكَ من عَيْنِكَ وَاقِ  
 فالبعضُ سودُ عيونها      أَمْضَى من البيض الرِّفَاقِ  
 وقدودُهَنَّ رواشقُ      في الطعن كالشُّمَر الرِّشَاقِ  
 وإذا بُليتُ بمجهنَّ      بُليتُ بالدَّمع المَراقِ

ومن جيد شعره قوله :

تنفدأك ساقياً قد كساك الـ  
 تُشرقُ الشمسُ من يدَيْكَ ، ومن في  
 أوليسَ العجيبُ كَوْنُكَ بَدْرًا  
 فتنَّةُ أَنْتَ إِذْ تُمِيتُ وتُحيي  
 لستَ من هذه الخليفة بل أذ  
 حُسْنُ من فَرِكَ المِضَى لِسَاقِكَ  
 كَ الثُّرَيَّا ، والبدرُ من أطواقِكَ  
 كَمَلًا ، والحقُّ من عُشَّاقِكَ  
 بتلاقيكَ من تشا ، وفراقِكَ  
 تَ مَلِيكَ أُرْسِلْتَ مِنْ خَلَاقِكَ

## الحب خضوع النفس :

وكان حاتم بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن عمر الأهدل البغلي الحسيني مشهوراً له بتحصيل أنواع العلوم والمعارف ، والنظم والنثر ، وقد رحل إلى كثير من البلدان ، وأقام بالحرمين ، ثم توطن المَخَا ، وحصل له بها شأن عظيم ينبطه عليه صفوة أصحابه وأترابه ، إذ كان له يد طولى في العلوم الشرعية والفنون العربية ، إلا أنه غلب عليه التصوف ، كما كان متقناً لعلم الأسماء والحروف ودوائر الأولياء ، حتى إنه كان زاهداً في الدنيا ، ومن شعره قوله مشطراً فائية ابن الفارض :

قلبي يُحدثُنِي بِأَنَّكَ مُتَلَفِي عَجَّلَ بِهِ وَلَكَ الْبَقَا ، وَتَصَرَّفِ  
قد قلتُ حينَ جهلتُنِي وعرفتُنِي رُوحِي فِدَاكَ عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفْ  
أَنْتَ الْقَتِيلُ بِأَيِّ مِنْ أَحَبَّتْهُ فَلَكَ السَّعَادَةُ فِي الشَّهَادَةِ يَا وَفِي  
ولقد وصفتُ لك الغرامَ وأهله فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ فِي الْهَوَى مِنْ تَصْطَفِي

وقال مخمساً قصيدة ابن النبیه :

رقم العذولُ زخارفًا وتصنعاَ وَأَشَاعَ تَقْضَ الْعَهْدِ عَنْكَ وَشَفَعَا  
فَأَجَبْتُهُ وَالنَّفْسُ تَقْطُرُ أَدْمَعَا أَفْدِيهِ إِنْ حَفَظَ الْهَوَى أَوْ ضِيَعَا  
مَلِكَ الْفُؤَادِ فَاغْصَى أَنْ أَصْنَعَا

حكم الغرامُ فَلَدُّ بِهِ وَبَحِكِهِ وَابْتُ عَلَى مَفْرُوضٍ وَاجِبِ رَسْمِهِ  
وَاخْضَعْ لِمَدَلِ الْحُبِّ فِيهِ وَظَلَمِهِ مَنْ لَمْ يَذُقْ ظُلْمَ الْحَبِيبِ كَظَلَمِهِ  
حُلُوءًا فَقَدْ جَهَلَ الْحَبَّةَ وَادَّعَى

يَا مَنْ بَلُطْفِ جَمَالِهِ قَلْبِي اقْتَنَصَ صَبْرِي عَلَى الْأَعْتَابِ مِنْ جِلْدِي نَكَصَ  
وَبَاتُ حُجْلِي حِينَ زَمَزَمْتُ رَقْصَ

يَا صَاحِبَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ تَدَارِكُ الصَّ بَرَّ الْجَمِيلِ فَقَدْ عَفَا وَتَضَعُضَمَا  
وَفَرَّتْ مِنْ نَبْلِ الْلَوَاحِظِ أَسْهُمِي وَكَلَّمْتُ أَحْشَائِي وَلَمْ أَتَكَلَّمْ

وهجرتنى ظلماً ولم أُنظَلِّمْ هَلْ فى فؤادك رحمةً لمتيم  
ضمت جوانحه فؤاداً مُوجِماً

إِنِّ اعترفتُ بزَلَّتِي وجنائيتي . ورضاك مقصودى وغاية غاييتي  
يَا مَنْ ضَلَّالِي فِيهِ عَيْنُ هِدَايَتِي هَلْ مِنْ سَبِيلٍ أَنْ أُبْتَ صَابِغِي  
أَوْ أَشْتَكِي بُلُوَايَ أَوْ أَتَضَرَّعَا ؟

لِي فِي حِمَاكِ مَسَارِحَ وَمَطَامِحَ كَمْ بَتُّ لِلْفُزْلَانِ فِيهِ أَطَارِحُ  
يَا قَلْبُ إِنْ الْيَوْمَ طَبِيعَكَ نَارِحُ يَا عَيْنُ عُدْرَكَ أَنْ حُبِّي وَاصِحُ  
كُلِّي لِفُرْقَتِهِ أَرَادَ وَأَزَمَا

### أشقى الناس أهواها :

زين الدين أحمد بن على بن الحسين بن على الشافعى الحلبي ، ولد بحلب ونشأ بها وكان  
له مذاكرة تأخذ بلبِّ الصاحب ومحاضرات وترغَّبُ من محاضرات الراغب ، وله شعر  
قصير منه قوله :

كُتِبَتْ وَأَفْكَارِي بِحَبِّكَ مُرِّقَتْ كَمَا قَدْ بَدَتْ فِي الْحُبِّ كُلِّ مَمَزِقْ  
وَلَوْ حُمَّ لِي التَّوْفِيقُ كُنْتُ تَرَكْتُهُ وَلَكِنِّي أَصْبَحْتُ غَيْرَ مُوْفِقْ  
إِذَا قِيلَ أَشْقَى النَّاسِ مَنْ بَاتَ ذَا هَوًى فَلَا تَفَكَّرُنْ هَذَا الْمَقَالُ وَصَدَقْ

وقال متنزلاً :

سَأَلْتُهَا عَنْ فُؤَادِي أَيْنَ مَسْكَنُهُ فَإِنَّهُ ضَلَّ عَنِّي عِنْدَ مَسْرَاهَا  
قَالَتْ : لَدَى قُلُوبِ جَمَّةٍ جَمَعَتْ فَأَيُّهَا أَنْتَ تَبْنِي ؟ قُلْتُ : أَشْقَاهَا



## رابعة العدوية :

روى ابن خلكان قصة « رابعة العدوية » شهيدة الحب الإلهي ، قال :  
كانت أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية ، مولاة آل عتيك ، من أعيان  
عصرها ، وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة .

وذكر أبو القاسم القشيري في « الرسالة » أنها كانت تقول في مناجاتها : إلهي .. أتحرقُ  
بالنار قلباً يحبُّك ؟ ... فهتف بها مرة هاتف : ما كنّا نفعل هذا فلا تظنني بنا ظنّ السوء !  
وكان سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عندها يوما ، فقال : واحزنه ! فقالت له : « لا تكذب ، بل  
قل : واقلة حزنه ! . لو كنت محزوناً لم يتهياً لك أن تتنفس .

وقال بعضهم : كنت أدعو لرابعة العدوية ، فرأيتهما في المنام تقول : هداياك تأتينا على  
أطباق من نور مخمرة بمناديل من نور .

وكانت تقول : ما ظهر من أعمالى فلا أعدّه شيئا .

ومن وصاياها : اكنتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم .

وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي - في كتاب « عوارف المعارف » قولها :  
إِنِّي جَعَلْتُكَ فِي الْفَوَادِ مَحْدَّتِي وَأَبْجَتْ جِسْمِي مِنْ أَرَادَ جُلُوسِي  
فَلَجِسْمُ مَبْنَى لِلْجَلِيسِ مُوَأْنَسٌ وَحَبِيبُ قَلْبِي فِي الْفَوَادِ أُنَيْسِي

\*\*\*

## الحب أحسن المعاصي :

في « لوعة الشاكي ودمة الباكي » لابن الصفي :

انتصف الليل ، وأقبلت عساكرُ السعد بالرَّجُلِ والخَيْلِ ، فأمرت صاحبي برفع المدام ،  
وتجهيز المرقد للنم ، فرفع الأواني في الحال ، وأقبل على ذلك الشان وطال ، وعلق في المرقد  
تفحات المسك الأذفر ، وأطلق فيه مباخر الند والعنبر . ثم قال : أين رسم لي أن أبيت ؟

فقلت : نـم عندنا لكن خارج البيت ، فأنت مـن تحققتا منه المروءة والشفقة ، فأخرج عنا ورد الباب بالحلقة . ففعل ما أمرناه وخرج ، ولم يبق في الصدر هم ولا حرج فقلت لمحبوبي : أما تقوم بنا لننام ، وأنعم بتقبيل الثغر واعتناق القوام ، فقال لي : أقوم ولكن العناق حرام ، فقلت : في عنقي تكون الأوزار والآثام :

فقام ينهضُ والصَّهْبَاءُ تُقْعِدُهُ      سُكْرًا وَحَاوِلَ أَنْ يَسْعَى فَلَمْ يُطِيقِ  
وقال لي بفتورٍ من لواحظه      إن العناقَ حرامٌ قلتُ : في عنقي  
فقال : استغفر الله من الفجور واللفظ ، ومن وقوعك أيها الإنسان في اللط .

فقلت : لا تظن أن محبتك من المعاصي والسيئات ، واعلم أن هواك من أفضل الفضائل وأحسن القربات .

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا مِنْ مَحَبَّتِكُمْ      فَإِنَّهَا حَسَنَاتِي يَوْمَ الْفِتَاءِ  
فَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّ الْحُبَّ مَعْصِيَةٌ      فَالْحُبُّ أَحْسَنُ مَا يُعْصَى بِهِ اللَّهُ

\*\*\*

الهوى قدرٌ :

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش . قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّدُ قال : سألت أبا الفضل الرياشي عن معنى قول الشاعر :

الريح تبكي شجوها      والبرقُ يلْمَعُ في الغمامة

فقال : هو عندى كقولهم : ويل للشجى من الخلى . ومعناه : إن البرق يضحك والريح تبكي .

وذهب بعضهم إلى أن المعنى أن الريح تبكي شجوها ، والبرق يبكي أيضاً وهو يلعب في الغمامة .

وأنشدنا أبو بكر الأصبهاني لنفسه :

إِلَّا تَكُنْ فِي الْهَوَى أُرْوَيْتَ مِنْ ظَمًا  
لَقَدْ دَلَّتْ عَلَى أَنْ الْهَوَى بَدَلٌ  
فَحَسَبُ نَفْسِي غَنَى عِلْمِي بِمَوْضِعِهَا  
وَأَنْتَ خَالٍ وَقَلْبِي ذَا الَّذِي مَلَكَتْ  
إِنِّي وَغَلَّةُ نَفْسِي فِيكَ قَائِمَةٌ  
وَلَمْ يَكُنْ بِاخْتِيَارٍ لِي فَأَتْرَكُهُ  
لَكِنَّهُ مِنْ أُمُورِ اللَّهِ مُمْتَنِعٌ  
لَنْ يَضْبُطَ الْعَقْلَ إِلَّا مَنْ يَدْبُرُهُ  
كُنْ مُحْسِنًا أَوْ مُسِيئًا وَابْقَ لِي أَبَدًا

وأنشدنا لنفسه في مثل هذا :

فَإِنْ تَكُنِ الْقُلُوبُ إِذَا تُجَازَى  
فَالَى أَهْوَنُ الثَّقَلَيْنِ جَمْعًا  
عَمِدْتُ سَنِينَ أَسْتَخْفِي التَّصَابِي  
فَلَمْ تُقْلِعْ صُرُوفَ الدَّاهِرِ حَتَّى  
تَبْغِضَ مَا اسْتَطَعْتَ وَعَشْ سَلِيمًا  
وَتَسْلُكُ فِي الْهَوَى سَنَنًا سَوِيًّا  
عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ أَكْرَمُهُمْ عَلَيَّا ؟  
وَلَا أَرْضَى مِنَ الْوَصْلِ الرِّضِيًّا  
خَسِسْتُ عَنْ أَنْ أَحْيِيَ أَوْ أُحْيَا  
فَأَنْتَ أَحَبُّ مَخْلُوقٍ إِلَيَّا

وأنشدنا أبو إسحاق الزجاج قال : أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد :

يَا أَيُّهَا الرَّابِكُ الْغَادِي لَطِيفُهُ  
مَا عَالَجَ النَّاسُ مِنْ وَجْدِ أَلَمِ بِهِمْ  
حَسْبِي رِضَاهُ ، وَأَنَّى فِي مُحِبَّتِهِ  
عَرَّجَ أَنْبُتَكَ عَنْ بَعْضِ الَّذِي أَجْدُ  
إِلَّا وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ الَّذِي وَجَدُوا  
وَوُدَّهُ آخِرَ الْأَيَّامِ أَجْتَهِدُ

وأنشد سليمان بن عبد الله بن طاهر لأبيه :

أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ غَمْدٌ لِقَلْبِهِ  
فَإِنْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ قَلْبٌ فَقَلْبُهُ  
وَلَا خَيْرَ فِي غَمْدٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَصْلُ  
هُوَ النَّصْلُ ، وَالْإِنْسَانُ مِنْ بَعْدِهِ فَضْلُ

# أنواع الحب

## ضروب المحبة<sup>(١)</sup> :

المحبة ضروبٌ: أفضلها محبة المتحايين في الله ، ثم محبة القرابة ، ومحبة الألفة والاشتراك في المطالب . ومحبة التصاحب والعرفة . ومحبة البر يصنعه المرء عند أخيه ، ومحبة الطمع في جاه المحبوب ، ومحبة المتحايين لسرٍّ يجتمعان عليه ويلزمهما ستره . ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر ، ومحبة العشق الناشئة عن اتصال النفوس .

## حب الولد<sup>(٢)</sup> :

أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس فقال : يا أبا بحر ، ما تقول في الولد ؟ قال : ثمارُ قلوبنا ، وعمادُ ظهوررنا ، ونحنُ لهم أرضٌ ذليلةٌ ، وسماؤُ ظلميلةٌ . فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمتحونك ودمهم ، ويحبونك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلاً ، فيملوا حياتك ، ويحبوا وفاتك . فقال معاوية : لله أنت يا أحنف ، لقد دخلت عليّ وإني لملوءٌ غضباً على يزيد ، فسألته من قلبي .

فلما خرج الأحنف من عنده ، بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب . فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب .

وكان عبدالله بن عمرَ يذهب بولده سالمٍ كلَّ مذهب ، حتى لامه الناسُ فيه فقال : يلومونني في سالم ، وألومهم وجِلْدَةُ بَيْنِ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ وقال : إن ابني سالماً ، ليحبُّ الله حُبّاً لو لم يخفْهُ مَا عَصَاهُ .

(١) في كتاب طوق الحمامة في الألفة والآلاف لابن حزم (٢) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٧ .

وكان يحيى بن اليمان يذهب بولده داودَ كلَّ مذهبٍ حتى قال يوماً : أئمة الحديث أربعة ، كان عبدُ الله ، ثمَّ كان عَلَقَمَةُ ، ثمَّ كان إبراهيمُ ، ثمَّ أنتُ يا داودُ .  
وقال : تزوجتُ أمَّ داود ، فما كان عندنا شيءٌ أُلْفُهُ فيه حتى اشتريتُ له شِكْوَةً بِدَانِقٍ .

وقال زيد بن عليٍّ لابنهِ : يَا بُنَيَّ ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْضَكَ لِي فَأَوْصَاكَ بِي ، وَرَضِيَنِي لَكَ فَخَذَرَنِيكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ خَيْرَ الْآبَاءِ لِلْأَبْنَاءِ مَنْ لَمْ يَدْعُهُ التَّذْلِيلُ إِلَى التَّفْرِيطِ ، وَخَيْرَ الْأَبْنَاءِ لِلْآبَاءِ مَنْ لَمْ يَدْعُهُ التَّقْصِيرُ إِلَى الْمُعْثُوقِ .

وفي الحديث المرفوع : « رِيحُ الْوَلَدِ مِنْ رِيحِ الْجَنَّةِ » . وفيه أيضاً : الْأَوْلَادُ مِنْ رِيحَانِ اللَّهِ .

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمَّا بُشِّرَ بِفَاطِمَةَ : « رِيحَانَةُ أَشْمَهَا وَرَزَقَهَا عَلَى اللَّهِ » .

ودخل عمرو بن العاص ، على مُعَاوِيَةَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ بَنْتُهُ عَائِشَةُ . فَقَالَ : مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ : هَذِهِ تَفَاحَةُ الْقَلْبِ . فَقَالَ لَهُ : انْبِذْهَا عَنْكَ ، فَوَاللَّهِ إِنْهُمْ لَيَكِلِدُنَ الْأَعْدَاءُ ، وَيُقَرِّبُنَ الْبُعْدَاءَ ، وَيُورِثُنَ الضَّغَائِنَ .

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : لَا تَقُلْ ذَلِكَ يَا عَمْرُو : فَوَاللَّهِ مَا مَرَضَ الْمَرْضَى ، وَلَا نَدَبَ الْمَوْتَى ، وَلَا أَعَانَ عَلَى الْأَحْزَانِ مِثْلُهُنَّ . وَرَبَّ ابْنِ أُخْتٍ قَدْ تَفَعَّ خَالَهُ .

وقال المَلِيُّ الطَّائِي :

لَوْلَا بُنْيَاتُ كَرْزُوبِ الْقَطَا يَرُدُّنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ  
لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ  
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا . بَيْنَنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ  
وَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تُرَقِّصُ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُمَا وَتَقُولُ :

إِنَّ بُنَيَّ شَبَهُ النَّبِيَّ لَيْسَ شَبِيهَا بِعَلِيٍّ

وكان الزبيرُ بين العوامِ يُرَقِّصُ عُرْوَةَ ابنه ويقول :  
أبيضُ مِنْ آلِ أَبِي عَتِيقٍ مُبارِكُ مِنْ وَلَدِ الصِّدِّيقِ  
الْتَدُّهُ كَمَا الْتَدُّ رِيقُ

وقال أعرابيٌّ يَرَقِّصَ وَلَدَهُ :  
أَعْرِفُ مِنْهُ قِلَّةَ النَّعَاسِ وَخِفَّةَ رَأْسِهِ فِي رَأْسِي  
وقال عبد الملك : أَضْرَبْنَا فِي الْوَلَدِ حُبَّنَا لَهُ ، فَلَمْ نُؤَدِّبْهُ ، وَكَأَنَّ الْوَلِيدَ أَدَبَنَا <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

### حُبُّ الْأَيَّامِ وَالْيَتَامَى :

من بديع أخبار الحكم أن العباسَ الشاعرَ تَوَجَّهَ إِلَى الثَّغَرِ ، فَلَمَّا نَزَلَ بِوَادِي الْحَجَارَةِ ،  
سَمِعَ امْرَأَةً تَقُولُ : وَاعِثَاهُ بِكَ يَا حَكَمَ ، لَقَدْ أَهْمَلْتَنَا حَتَّى كَلَبَ الْعَدُوُّ عَلَيْنَا فَأَيْمَنَّا  
وَأَيْمَنَّا . فَسَأَلَهَا عَنْ شَأْنِهَا . فَقَالَتْ : كُنْتُ مُقْبِلَةً مِنَ الْبَادِيَةِ فِي رِفْقَةٍ ، فَخَرَجْتَ عَلَيْنَا خَيْلُ  
عَدُوٍّ فَقَتَلَتْ وَأَسْرَتْ ، فَصَنَعَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

تَمَكَّمْتُ فِي وَادِي الْحَجَارَةِ مُسْنِدًا أَرَاغِي نَجُومًا مَا يَرِينُ تَغْيِيرًا  
إِلَيْكَ أبا الغاصي نَضِيتُ مَطْيِئَتِي نَسِيرَ بِهِمْ سَارِيَا وَمُهَجَّرَا  
تَدَارَكُ نِسَاءَ الْعَالَمِينَ بُنْصَرَةٍ فَإِنَّكَ أَحْرَى أَنْ تُغِيثَ وَتَنْصُرَا

فلما دخل عليه أنشده القصيدة ، ووصف له خوفَ الثَّغَرِ واستصراخَ المرأةِ باسمه ،  
فَأَنْفَ وَنَادَى فِي الْحَيْنِ بِالْجِهَادِ وَالِاسْتِعْدَادِ ، فَخَرَجَ بَعْدَ ثَلَاثٍ إِلَى وَادِي الْحَجَارَةِ ، وَمَعَهُ  
الشَّاعِرُ . وَسَأَلَ عَنِ الْخَيْلِ الَّتِي أَغَارَتْ مِنْ أَىِّ أَرْضِ الْعَدُوِّ كَانَتْ ؟ فَأَعْلِمَ بِذَلِكَ ، فَغَزَا  
تِلْكَ النَّاحِيَةَ ، وَأَثَخَنَ فِيهَا ، وَفَتَحَ الْحَصُونِ وَالْدِّيَارَ ، وَقَتَلَ مِنَ الْعَدُوِّ عَدَدًا كَثِيرًا . وَجَاءَ  
إِلَى الْوَادِي فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْمَرْأَةِ ، وَجَمِيعِ مَنْ أُسِرَ لَهُ أَحَدٌ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ ثُمَّ أَمَرَ بِضَرْبِ

(١) يريد بالوليد ابنه « الوليد بن عبد الملك » . (٢) في نفع الطيب ج ١ ص ١٦٢ .

رقاب الأسرى بحضرتهم ، وقال للعباس : سلها هل أغاثها الحكم ؟ فقالت المرأة وكانت نبيلة : والله لقد شفى الصدور ، وأنكى المدوّ ، وأغاث الملهوف ، فأغاثه الله وأعزّه نصره .

فارتاح لقلوبها ، وبدا السرور في وجهه وقال :  
 ألم تر يا عباس أني أحببها على البعد أفتاد الخيس المظفر  
 فأدركت أوطاراً . وأبردت غلة ونفست مكروباً وأعنت ميسراً  
 فقبل عباس يده وقال : نعم ، جزاك الله خيراً عن المسلمين .

\* \* \*

### أمثال في الحب<sup>(١)</sup>

قول لسان الدين الخطيب :  
 أصناف المحبين والعشاق كثير ، بحيث يشق إحصاؤهم ، ولا يتأتى استقصاؤهم . كما أورد  
 أبياتاً من قصيدة أبي فراس الحمداني ، التي يقول فيها :  
 تسأئلي : من أنت ؟ وهى عليمه وهل بفتى مثلى على حاله نسكر  
 فقلت كما شئت وشاء لها الهوى قتيلك ، قالت : أيهم فهم أكثر ؟  
 وفي هذا تنبه النفوس الصعبة ، على حكم المحبة ، « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى  
 من حي عن بينة » .

ثم قال المؤلف : « وهذه حكم تجرى مجرى الأمثال : المحبة بحر بعيد الشط ، والفناء  
 منتهى الخط . المحبة مهوى من بعيد ، ومجال وعد ووعد .  
 المحبة ظهر لا يركبه من يرى الموت فيتنكبه . كم قصت المحبة من ظهر ، ولم سير  
 صوت إلى قهر .

(١) في نفح الطيب ج ٢٩ أورد المؤلف قول لسان الدين الخطيب .

### حجة بالغة :

قال ابن السُّبُكِيِّ رحمه الله تعالى :

قالتُ : أَلَا لَا تَلِجَنَّ دَارَنَا	إِنَّ أَبَانَا رَجُلٌ غَايِرُ
قلتُ : فَإِنِّي حَاضِرٌ... زَائِرًا	وَلَا يُلَامُ الزَّائِرُ الْحَاضِرُ
قالتُ : فَإِنَّ اللَّيْتَ عَادِي بَنَا	قلتُ : فَسَيَفِي مَرْهَفُ بَاتِرُ
قالتُ : فَإِنَّ الْقَصَرَ مِنْ دُونِنَا	قلتُ : فَإِنِّي فَوْقَهُ طَائِرُ
قلتُ : فَإِنَّ الْبَحْرَ مِنْ بَيْنِنَا	قلتُ : فَإِنِّي سَابِحٌ مَاهِرُ
قالتُ : فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ فَوْقِنَا	قلتُ : نَعَمْ ، وَهُوَ لَنَا غَافِرُ
قالتُ : فَحَوِّلِي إِخْوَةَ سَبْعَةٍ	قلتُ : فَإِنِّي لَهُمْ حَازِرُ
قالتُ : لَقَدْ أَعْيَيْتَنَا حُجَّةً	فَأَنْتِ إِذَا مَا هَجَعَ السَّامِرُ
وَاسْقُطْ عَلَيْنَا كَسْقُوطِ النَّدَى	لَيْلَةً لَا نَاهٍ وَلَا أَمِيرُ

\*\*\*



## حب الأزواج

زواج النبي من خديجة<sup>(١)</sup> :

قال صاحب كتاب « سنا المهتدى »

أهل السيرة مختلفون فيمن تولى تزويج السيدة خديجة رضى الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكر ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم مشى هو وعمه حمزة بن عبدالمطلب إلى والدها خويلد بن أسد في ذلك . وذكر غير ابن إسحاق أن خويلد كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة هو عمها عمرو بن أسد . قال المبرد : وهو الذى خطب خطبة النكاح ، وكان مما قال في تلك الخطبة : « أمّا بعد ، فإنّ محمداً ممن لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً ، وإن كان فى المال قليل ، فإنّ المال ظلّ زائل ، وعارية مسترجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك » . فقال عمرو : هو الفحل لا يقرع أُنثى ، فأنكحها منه . ويقال : قاله ورقة بن نوفل . والذى قاله المبرد هو الصحيح لما رواه الطبرى عن جبير بن مطعم ، عن ابن عباس ، وعن عائشة . قال : إنّ عمرو بن أسد هو الذى أنكح ابنة أخيه خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن خويلداً هلك قبل ذلك .

وذكر الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لشريكه الذى كان يتجر معه فى مال خديجة : هلم - فلنتحدث عند خديجة ، وكانت تكرمهما ، فلما قاما من عندها ، جاءت جويرية لها وقالت له : جئت خاطباً يا محمد ؟ قال : كلاً . فقالت : ولم ؟ فوالله ما فى قريش امرأة وإن كانت خديجة - إلا تراك كفواً لها . فرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاطباً لخديجة مُستَحْيياً منها .

### حب خديجة للنبي وتقديره لها :

لقد مَنَّ الله على عباده المؤمنين بقوله سبحانه : « يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ ، لَوْ أَتَقَفْتُمْ مَافِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ » .

وقد شاءت إرادة الله أن ينشأ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نشأة كريمة طاهرة ، حتى عرف من حداثة سنه بالصدق والأمانة ، والبعد عن صفائر الأمور ، فاشتهر بالصادق الأمين . وقد سمعت خديجة وهى سيدة من نساء العرب به ، ورغبت فى أن يتجر بها لها فكان نعم التاجر الصدوق المؤمن ، وربحت التجارة كثيرا ، لما اتصف به عليه الصلاة والسلام من خلق عظيم ، وقلب رؤوف رحيم .

وكان يصحبه خادمها « ميسرة » . . . الذى شاهد ماشاهد من طيب الخلال ، والصدق فى الأقوال ، والإخلاص فى الأعمال . وقصّ الخادم على سيده ذلك . ومن ثم آنست فى سيدنا محمد صفات كمال الرجال ، فعرضت عليه أن يتزوج بها ، فوافق شاكرًا راضيًا . ولقد كان يخطبها أكبر سادة العرب وجلة ساستهم فلم ترض بواحد منهم .

وكانت على جانب عالٍ من السباحة وجمال الخلق والخلق معًا ، وكان هو صلوات الله عليه وسلامه ، يبلغ الخامسة والعشرين ، وتكبره بخمسة عشر ربيعًا . وصادف هذا الزواج المبارك ، بل حالفه التوفيق واليمن ، فكانت نعم الزوجة الحبيبة الوفية الأمينة المخلصة .

وبينما كان يتحنث فى غار ثور ، نأيًا عما كان عليه شباب العرب ، حان ظهور جبريل عليه السلام لأول مرة ، وقال له : اقرأ . فأجابته النبي : ما أنا بقارىء . فضمّه إليه ثم أرسله ، وأعاد عليه أخرى . وفى الثالثة : نزلت السورة :

« اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » .

وما لبث أن عاد النبي إلى زوجته يقول : « زملونى » وسرد عليها روايته ، فهدأت روعه بعد أن اختبرت حالته ، إذ خشيت عليه سوءًا فقالت : والله لن ينزلك الله أبدًا .

إنّك تصل الرحم ، وترحم الأرامل والأيتام ، وتؤوى الضعفاء والمساكين . ثمّ رأيت أخيراً أن تعرض أمره على ابن عمها ورقة بن نوفل ، الكاهن . . . فبشره بأن هذا هو الناموس الذى ينزل على أنبياء الله ورسله ، وسيكون له شأن عظيم !

ولقد عاشت خديجةُ رسول الله قبل الرّسالة خمسة عشر عاماً ، حتّى بلغ الأربعين ، معاشرة كلّها الحب والوفاء . وعاش معها حياة العزة والكرامة والاطمئنان . وكم كانت ترفع من مكانته وهو الرّافع المسكّنة . فتقول : « كلّ نبيّ ملك محمد ، ليس لي فيه شيء ، فهو صاحب الأمر والنّهى » . ولبثت معه ثمانية وعشرين عاماً ، فى أتمّ وأكمل ما يتصوّره العقل الذكيّ واللبّ الحكيم . إلى أن اختارها الله لجواره ، ولحقت بالرفيق الأعلى .

ولقد كانت أوّل من آمن به من النساء ، وكم حزنَ عليها سيدنا محمد صلوات الله عليه حزناً شديداً ، حتّى ذكر عام وفاتها بعام الحزن . وما زال ، عليه الصلاة والسلام ، يذكرها بالخير والثناء بعد رحيلها ، ولم يتزوج عليها قطّ . فما إن كان يجلس مع عائشة الصّديقة بنت الصّديق وتذكر أن فلانة كانت حبيبة خديجة ، حتّى قال : أعطوها وأكرموها . ففارت عائشةُ قائلةً : أو لم أكن يارسول الله - أنا البكر - خيراً منها . فغضب وتغيّر وقال والله يا عائشة ، ما عاد لها من النساء أحدٌ ، لقد أمدّتنى فقيراً ، وأكرمتنى معاشراً ، وملأت على أركان حياتي أنسا وسودداً . قالت عائشة : وقد أقسمت بحقه وحبّه ألاّ تذكرها إلاّ بخير .

### خير متاع الدنيا المرأة الصالحة :

قال صلى الله عليه وسلم : « تزوّجوا الولود الودود من النساء ، فإنّ مكثركم الأمم يوم القيامة » .

وقال أيضاً : « الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة فى مسجد البصرة فقال : أبنى امرأة . فقيل له : ما صفتها ؟ قال : أريدها بكرّاً كئيباً ، أو ثيباً كئيباً ، حلوة من قريب ، نخمة من بعيد ، كانت فى نعمة وأصابها حاجة ، ففيها أدب النعمة وذل الحاجة ، إذا اجتمعنا كُنّا أهل دنيا وإذا افترقنا كُنّا أهل آخره .

## السيدة سكينة بنت الحسين :

كانت سكينة بنت الحسين<sup>(١)</sup> سيدة نساء عصرها ، ومن أجل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً . وتزوجها مصعب بن الزبير - فأت عنها ، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله ابن حكيم بن حزام ، فولدت له قريناً ، ثم تزوجها الأصمغ بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول . ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها لعدم قدرته على الوفاء بما عاهدها عليه من ألا يدخل معها غيرها من النساء ، فلم يسمعهُ إلا الإذعان لأمر سليمان . ولا اعتبار بضعف إرادته باتصاله بغيرها من الجوارى صارت طالقةً . فطلقها ..

وقد قيل في ترتيب أزواجها غير هذا . وقيل أيضاً إن الطرقة الشكينية منسوبة إليها . ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم . من ذلك ما يروى من أنها ناظرت عروة بن أذينة - من أعيان العلماء وكبار الصالحين ، وله أشعار رائقة ، فقالت له : أنت القائل :

إذا وجدت أوار الحب في كبدي      ذهبت نحو سقاء الماء أبترد  
هبنى بردت ببرد الماء ظاهره      فمن لئار على الأحشاء تتقد ؟

فقال لها : نعم - فقالت : وأنت القائل :

قلت وأبثنتها سرى وبخت به      قد كنت عندى تحب الستر فاستتر  
ألست تبصر من حولى ؟ فقلت لها      غطى هوالك وما ألقى على بصرى

والسيدة سكينة ابنة الإمام أبي عبد الله الحسين ، كانت أمها الرباب بنت امرئ القيس الكلبيه . وقد تزوجها عبد الله بن الحسن - وهو أبو عذرتها - فأت - ويقال قتل مع الحسين - فتزوجها مصعب بن الزبير فولدت له ابنة فأرسل إليها : سمها زبراء ، قالت : أمسميها باسم إحدى أمهاتى ، فسمتها خديجة أو فاطمة . فأت ابنتها من مصعب ورحل إلى العراق فقتل عنها .

وخطب سكينه عبد الملك بن مروان . فقالت أمها : والله لا أزوجه منه أبداً وقد قتل ابن أخي - تعني مصعباً - فتزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام - وأم عبد الله بن عثمان رملة ابنة الزبير بن العوام - فولدت له سكينه ابناً يقال له قرين ، وحكياء ، وابنة . ويقال ابنتين . فمات عنها ، فتزوجها الأصمغ بن عبد العزيز بن مروان فأصدقها صداقاً كثيراً . فقال عبد الملك : إنا تزوجنا أحسابنا فلم نغرق في الصداق ، طلقها ، فطلقها ، فقال أيمن بن خريم :

نسكت سكينه في الحساب ثلاثة فإذا دخلت بها فانت الرابع  
إن البقيع إذا تتابع زرعه خاب البقيع وخاب فيه الزارع

فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان - فأصدقها صداقاً كثيراً واشترطت عليه ألا يعصى لها أمراً ولا يغيرها ، ولا يمنعها شيئاً تريده ، ولا يمنع أحداً يدخل إليها ، وأن يقيمها حيث رغبتها ، فتزوجها على هذه الشروط ، فقال له سليمان بن عبد الملك : يا زيد بن عمرو ، إنك شرطت لسكينه ألا تطأ جارية ، وعندك أمثال المها . وأنا أعلم أنك لا تصبر ، وأنت قد وطئت بعضهن ، وشرطت لها شروطاً لا تستطيع الوفاء بها ، وقد حرمت عليك سكينه . فطلقها زيد ، فتزوجها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فأبى أهلها أن يرضوا ، فخاصموه وتحاكموا إلى إبراهيم ابن هشام ، فقال له : انطلق فادخل على أهلك ، فإن حال بينك وبينها أحد فامنعه . وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف شرساً كثير الشر - لما أراد أن يتزوجها بعد أن مكثت حيناً بعد زيد لا تخطب - فقالت لها مولاتها : جعلت فداك ، لا أرى أهل المدينة يذكرونا . فأجابتها : أما والله لأجعلن لهم حديثاً . وأرسلت إلى إبراهيم فقالت له : كيف أنت إن تزوجتك ؟ قال تجدينني خير الناس .

وكانت ظريفة عفيفة ، وأديبة فصيحة ، فوق ما امتازت به من إشراق الحياء ، وسماحة الخلق ، وملاحة الخلق . فقيل لها : ياسكينه ، أخذك ناسكة وأنت مزاحاة قالت : إنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة ، وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام <sup>(١)</sup> .

(١) أختها فاطمة بنت الحسين ، سميت باسم جدتها فاطمة الزهراء ، وسميت سكينه بنت الحسين باسم آمنة جدتها أم الرسول صلوات الله وأزكى سلامه عليه .

ولقد شَبَّ الفرزدق بها ، وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه والياً على المدينة فأخرجه منها ونفاه . فقال جرير في ذلك :

نَفَاكَ الْأَعْرُثُ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ      بِحَقِّكَ تَنْفَى مِنَ الْمَسْجِدِ

وطافت سكينه بنت الحسين - رضى الله عنهما - فلما انتهت إلى الركن اليماني أعيت في أول طواف ، ونظر إليها العرجي ، فقال :

يَعْمُدَنَّ فِي التَّطَوُّافِ آوَنَةً      وَيَطْفُنَّ أحياناً عَلَى قَتَرِ

حَتَّى اسْتَلَمَنَّ الرُّكْنَ فِي أَنْفٍ      مِنْ لَيْلِهِنَّ يَطَّأَنَّ فِي الْأَزْرِ

فَقَرَعَنَّ فِي سَبْعٍ وَقَدْ جِهَدَتْ      أَحْشَاؤُهُنَّ مَوَائِلَ الْخُمْرِ

فسمعت شعره امرأة ووصفته لها ، فحفظت الشعر ، وقالت : « لو أن الجبال طُفُنَّ سَبْعاً لجهدت أحشأؤهن » .

وكانت سكينه - رضى الله عنها - على جانب وافر من الخلال الطيبة فوق ما امتازت به من كريم المحتد ، ودماثة الطبع والجمال .

### عاتكة بنت زيد :

كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، عند عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة . فأحبها ، فكان ربما ترك الصلاة جماعة بسبب مكثه معها ، لما اتصفت به من حسن الصورة وسماحة الخلق . وكانت عبلة الجسم ، مكتنزة اللحم ، على قسط وفير من العلم والأدب ، والمعرفة بالشعر ، ممّا دعا عبد الله إلى الانشغال بها . فأمره أبو بكر رضى الله عنه بطلاقها قائلاً له : قد فتنتك عن دينك ، وشغلتك عن معشيتك ، فطلقها وقال :

وَلَمْ أَرِ مِثْلِي طَلَّقَ الْيَوْمَ مِثْلَهَا      وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ جَرَمٍ تَطَلَّقُ

لَهَا خُلُقٌ سَمِيحٌ وَرَأْيٌ وَمَنْصِبٌ      وَخَلْقٌ سَوِيٌّ فِي الْحَيَاءِ وَمَصْدُقٌ

أَعَاتِكَ ، لَا أَنْسَاكَ مَا هَبَّتِ الصَّبَا      وَمَا نَحَّ قَرِيئُ الْحَمَامِ الطَّوْقُ

أَعَاتِكَ لَا أَنْسَاكِ مَا حَجَّ رَاكِبٌ      وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ مُحَلَّقٌ  
أَعَاتِكَ ، قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ      إِلَيْكَ بِمَا تَخْفَى النُّفُوسُ مَعَلَّقٌ  
وَلَوْلَا اتِّقَاءُ اللَّهِ فِي حَقِّ وَالِدٍ      وَطَاعَتُهُ مَا كَانَ مِنَّا التَّفَرُّقُ  
فَبَلَغَ أَبَا بَكْرٍ شَعْرَهُ فَأَمَرَهُ فَرَاغَهَا ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى مَاتَ شَهِيداً ، أَصَابَهُ سَهْمٌ  
فِي حِصَارِ الطَّائِفِ فَانْتَقَضَ بِهِ جَرْحُهُ فَمَاتَ ، فَقَالَ لِمَاتِكَ حِينَ احْتَضَرْتَ : لَكَ حَقِيقَةٌ مِنْ مَالِي  
وَلَا تَتَرَوَّجِي . فَقَبِلَتْ ذَلِكَ . وَقَالَ حِينَ رَاجَعَهَا :

أَعَاتِكَ ، قَدْ طَلَّقْتَ عَنِّي بُعْصَةً      وَرَاجَعْتَ لِلْأَمْرِ الَّذِي هُوَ كَائِنٌ  
كَذَلِكَ أَمَرُ اللَّهِ غَادٍ وَرَائِحٌ      عَلَى النَّاسِ فِيهِ أَلْفَةٌ وَتَبَايِنٌ  
وَقَدْ كَانَ قَلْبِي لِلتَّفَرُّقِ طَائِراً      وَقَلْبِي لِمَا قَدْ قَرَّبَ اللَّهُ سَاكِنٌ  
أَعَاتِكَ إِنِّي لَا أَرَى فِيكَ سَقَطَةً      وَإِنَّكَ قَدْ حَلَّتْ عَلَيْكَ الْمَحَاسِنُ  
وَإِنَّكَ مِمَّا زَيَّنَ اللَّهُ أَمْرَهُ      وَلَيْسَ لِمَا قَدْ زَيَّنَ اللَّهُ شَأْنٌ

فَمَاتَ عَبْدُ اللَّهِ وَتَرَكَ سَبْعَةَ دَنَانِيرَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنْ أَلَّاهُ ، كَيْفَ يَصْبِرُ ابْنِي عَلَى سَبْعِ  
كِيَّاتٍ<sup>(١)</sup> فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ ، قَالَتْ عَاتِكَةُ تَرْثِيهِ :

فُجِئْتُ بِخَيْرِ النَّاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ      وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ ، وَمَا كَانَ قَصِيراً  
فَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكَّ عَيْنِي سَخِينَةً      عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُّ جِلْدِي أَعْبَرَا  
مَدَى الدَّهْرِ مَا غَنَّتْ حَمَامَةُ أَيْكَةٍ      وَمَا طَرَدَ اللَّيْلُ الصَّبَاحَ الْمُنَوَّراً  
فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَى      أَكْرَرَ وَأَهَمَّتْ فِي الْجِهَادِ وَأَصْبَرَا  
إِذَا شَرَعْتَ فِيهِ الْأَسِنَّةُ خَاضَهَا      إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتَرَكَ الرُّمَحَ أَحْمَرَا

ثُمَّ مَا لَبِثْتُ أَنْ خَطَبَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ جَمَلْتُ عَلَى نَفْسِي  
مَا لَا أَقْدِرُ مَعَهُ عَلَى التَّزْوِيجِ . فَقَالَ : اسْتَغْفِرِي ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَاسْتَفْتَمْتُهُ فَقَالَ  
رُدِّي عَلَيْهِمْ مَا أَخَذْتَهُ مِنْهُمْ وَتَرَوَّجِي . فَرَدَّتْ الْحَقِيقَةَ ، فَتَرَوَّجَهَا عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

(١) يَعْنِي بِذَلِكَ جِزَاءَهُ عَلَى مَا أَكْثَرَ مِنَ الدَّنَانِيرِ « يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ  
وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَثُرَتْ لَأَنْفُسِكُمْ ... »

فلما دخل بها أولم ، فدنا على رضى الله عنه من خدرها وقال :  
فأليت لا تنفك عيني سخينة عليك ولا ينفك جلدى أغبراً  
فبكت ، فقال عمر : ما أردت إلا أن تُفسد علينا أهلكنا .

ويقال : قال هذه المقالة عبد الرحمن بن أبي بكر . فلما قُتل عمر قالت :  
وفجّعنى فيروز لادرّ درّه بأبيض تالٍ للقران منيب  
رؤوفٍ على الأذنى غليظٍ على المدّا أخى ثقةٍ فى النّائبات نجيب  
متى ما يُقل لا يكذبُ القولَ فعله سريعٍ إلى الخيرات غير قطوبٍ  
وقالت :

عينُ جودى بمبرة ونحيب لا تملى على الإمام النّجيب  
فجّعتنى المنونُ بالفارس المّة دم يومَ الهياج والتّذيب<sup>(١)</sup>  
عصمة الناس والمّين على الدهر ر وغيثُ المُنْتَابِ والحروبِ  
قل لأهل الضراء والبأس : موتوا قد سقتهُ المنونُ كأسُ شعوبِ

نخطبها طلحة بن عبيد الله ، فثنى فى أمرها هبار بن الأسود ، فأفسمد عليه ، فتزوّجها  
الزُّبير بن العوّام ، فنهاها عن الخروج إلى المسجد ، فقالت : أُنْهَانِي عن الخروج إلى  
الصلاة وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا تمنعوا إماء الله من مساجد الله » فأعرض عن  
ذلك أياماً ، ثمّ قعد لها فى طريقها ليلاً ، فلما مرّت به ضرب عَجِيزَتَهَا بيده . وكانت عظيمةَ  
العجيزة جميلة - فرجعت إلى بيتها واسترجعت وقالت : سوءةٌ إنّ الله . وتركت الخروج ،  
فقال لها الزُّبير : مالكِ تركت الصلاة فى المسجد ؟ فقالت : قد فسّد الناسُ أبا عبد الله .  
فقتل عنها ، فقالت :

غدر ابن جرموز بفارسٍ بهمة يومَ اللقائِ وكان غيرَ مُعرّدٍ  
يا عمرو لو نَهَيْتُهُ لَوَجَدْتُهُ لَاطَاشاً رَعِشَ الْجَنَانُ وَلَا الْيَدِ  
سَلْتُ يَمِينِكَ إِنْ قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عَقوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ

(١) لكثارت الذب والدفع . وفى الأغاني التلييب .



ثم خطبها على بن أبي طالب رضى الله عنه فقالت : إني أشفقُ عليك من القتل ،  
لم أتزوج رجلاً إلا قُتِل ، فتزوجها محمد بن أبي بكر فخرجت معه إلى مصر ، فقتل ومثّل به ،  
فقالت :

لَنْ تَقْتُلُوا أَوْ تَمَثَّلُوا بِمَحْمَدٍ      فَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ وَلَا الْخَمْرِ<sup>(١)</sup>  
فتزوجها عمرو بن العاص .

وروى أن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - حدث مرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا تمنعوا النساء من الخروج بالليل إلى المساجد » فقال ابن له :  
لَا تَدْعُهُنَّ يَخْرُجْنَ فَيَتَّخِذْنَ دَعَاً . فزجره وقال له : أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ثم تقول : لَا تَدْعُهُنَّ ؟ !

وذكر أبو بكر الخرائطي رحمه الله في كتاب « اعتلال القلوب » قال : كانت عاتكة  
بنت زيد بن عمرو بن نفيل عند الزبير بن العوام رضى الله عنهما - فاستأذنته في الخروج إلى  
المسجد ، فشقّ عليه ذلك وكره أن يمنعه . فأذن لها ، ثم انكمن لها في موضع مظلم من  
الطريق ، فلما مرّت عليه وضع يده على بعض جسدها ، فكرّرت راجعة وسبقها الزبير إلى  
الدار ، فلما دخلت عليه تسبّح ، قال لها : ماردك عن وجهك ؟ قالت : كنا نخرج والناس  
ناس ، وأمّا اليوم فلا ، وتركت طلب المسجد .

### زواج امرئ القيس :

نقل الجرجاني في كتاب « الكنايات » عن كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني ،  
أن عبد الملك بن عمير قال : آلى امرئ القيس بن حجر ألا يتزوج امرأة حتى يسألها  
عن « ثمانية وأربعين » فجعل يخطب النساء ، فإذا سألهن عن هذا قلن : أربعة عشر .  
فبينما هو في جوف الليل إذا هو برجل - معه ابنة صغيرة له كأنها البدر لته ، فأعجبته فقال لها :

(١) يقال: مثل به يمثّل مثلاً ، مثل: قتل يقتل قتلاً ، ومثّل به تمثيلاً : إذا نكّل به .

يا جارية ، ما ثمانية وأربعة واثنتان ؟ قالت : أما ثمانية فأطباء الكلبة ، وأما أربعة فأخلاف الناقة ، وأما اثنتان فتدنيا المرأة . فخطبها من أبيها ، فزوجه إياها وشرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فأجابها موافقاً ، وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل ، وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس . ثم إنه أرسل عبده إلى المرأة فأهدى إليها نَحْيَاً من سمن ، ونَحْيَاً من عسل ، وحلة من قصب ، فنزل العبد في بعض المياه فنشر الحلة فلبسها ، ثم أتاها - وهي خائف - فسألها عن أبيها وأُمِّها وأخيها ، ودفع إليها هديتها . فقالت له : أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرَّب بعيداً ويبعد قريباً ، وأن أُمِّي ذهبت تشقُّ النفس نفسين ، وأن أخي يراعى الشمس ، وأن سماء كم انشقت ، وأن وعاء كم نصب . فقَدِمَ الغلام على مولاه فأخبره ، فقال : أما قولها ذهب يبعد قريباً ويقرَّب بعيداً فإن أباهما ذهب يخالف على قومه ، وأما قولها ذهبت تشقُّ النفس نفسين فإنَّ أُمِّها ذهبت تقابل نفسها ، وأما قولها أخي يراعى الشمس فإنَّ أخاها في سرح له يرعاه ، وأما قولها : إن سماء كم انشقت فإنَّ البُرْد الذي بعثت به انشق ، وقولها : إن وعاء كم نصب فإنَّ النَحْيَيْنِ اللذين بعثت بهما نقصا . فاصدقني ، فقَصَّ عليه الغلام القصة .

ثم إنَّ امرأ القيس ساق مائة من الإبل ، وخرج نحوها ومعه الغلام ، فقام الغلام يسقي الإبل ، فعجز عنها ، فأعانه امرؤ القيس . فرمى به الغلام في البئر ، وخرج حتى أهل المرأة بالإبل ، وأخبرهم أنه زوجها . فقتل لها : قد جاءك زوجك . فقالت : والله لا أدري أزوجي أم لا ؟ . ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها . ففعلوا وأكل ، ثم قالت : اسقوه لبناً خائراً أى حامضاً - فشرب فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ، فنام .

فلما أصبحت أرسلت إليه : إني أريد أن أسألك فقال : سأليني عما شئت . فقالت : ممَّ تحتلج شفةاك ؟ فقال : لتقبيل إياك . قالت : فممَّ يحتاج فخذاك ؟ فقال : لتورُّكي إياك . قالت : عليكم فشدُّوه وثاقاً ، ففعلوا .

واجتاز قوم بامرئ القيس فأخرجوه من البئر ، فرجع إلى حيَّهِ وساق مائة من الإبل ، وأقبل إلى امرأته فقيل لها : قد جاء زوجك فقالت : والله لا أدري أزوجي أم لا ؟ ولكن

انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا . فلما أتوه بذلك - قال : فأين الكبدُ والسنَامُ واللّحَى ؟ ! وأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبناً خائراً . فأبى أن يشربه وقال : أين الضريب والريبة ؟ ! فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ، فأبى أن ينام . وقال : افرشوا لى على القلعة الحمراء ، واضربوا عليها خباء . ثم أرسلت إليه : هَلُمَّ شَرَطَى عَلَيْكَ فى المسائل الثلاث ، فأرسل إليها : أن سَلَى عَمَّا شِئْتُ . فأرسلت إليه : مِمَّ يَخْتَلِجُ شَفْتَاكَ ؟ قال : لشرب الشَّعْشَعَاتِ . قالت : فَمِمَّ يَخْتَلِجُ كَشْحَاكَ ؟ قال : للبسى المحبَّرات . قالت : فَمِمَّ يَخْتَلِجُ نَفْثَاكَ ؟ قال : لركوبى المَطْهَمَاتِ . قالت : هذا زوجى لعمرى فعليك به ، واقتلوا العبد ، فقتلوه .

ودخل امرؤ القيس بالجارية التى أحبها حين رآها ، فأعجب بجمالها ، وسألها ، فكان جوابها شافياً .

وكانت بذلكها جديرة بأن تكون قرينة محبوبة له .

### ولاء أم عقبة لابن عمها غسان :

كانت أمّ عقبة ، وهى امرأة من بنى يَشْكُر - عند ابن عمِّ لها يقال له : غسان ، ولما شعر بدنو أجله أو قرب موته سألها عما تصنع بعده قائلاً :

أخبرى بالذى تريدن . بعدى      والذى تضعرين يا أمّ عقبة  
تحفظين من بعد موتى لما قد      كان منى من حسن خلق وصحبه  
أم تريدن ذا جمال ومال ؟      وأنا فى التراب فى سجن غربة  
فقلت : والله لا أجيبك بكذب ، ولأجعلنه آخر حظى منك ، وأنشدته :

قد سمعت الذى تقول وما قد      يا ابن عمى تخاف من أمّ عقبة  
أنا من أحفظ الوداد وأرعا      هُ لما قد أوليت من حُسن صحبه  
سوف أبكيك ما حيت بنوح      ومراث أقولها أو بندبه

فلما سمعها أنشأ يقول :

أنا والله واثق بك لكن احتياطاً أخافُ غدر النساء  
بعد موت الأزواج ياخير من عو فر ، فارعى لى حقَّ حُسن الوفاء  
إننى قدر جوت أن تحفظى العهـ دَ ، فكونى إذا متُّ عند الرجاء

\*\*\*

### زواج حاتم الطائي<sup>(١)</sup> :

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قال : أخبرنا عبد الرحمن بن أخى الأصمعى ، عن عمه ،  
وأبو حاتم عن أبى عُبيدة . قال :

كانت امرأة من العرب ، ذات جمال وكال وحسب مال ، قد آلت أن لا تزوج نفسها  
إلا كريماً ، ولئن خطبها لثيم لتجدعنَّ أنهه ، فتحاماها الرجال ، حتى انتدب لها زيد  
الخليل ، وحاتم بن عبد الله ، وأوس بن حارثة بن لام الطائيون ، فارتحلوا إليها ، فلما دخلوا  
عليها قالت : مرحباً بكم ، ما كنتم زواراً ، فإلى الذى جاء بكم؟ فقالوا : جئنا زواراً وخطاباً .  
قالت : أ كفاء كرام . فأنزلتهم ، وفرقت بينهم ، وأسبغت لهم القِرَى وزادت فيه .  
فلما كان اليوم الثانى بعثت بعض جواريتها متنكرة فى زى سائلة ، تتعرض لهم ،  
فدفع لها زيد وأوس شطر ما حمل إلى كل واحدٍ منهما ، فلما صارت إلى رحل حاتم دفع إليها  
جميع ما حمل إليه .

فلما كان اليوم الثالث ، دخلوا عابها فقالت : ليصف كل واحدٍ منكم نفسه فى شعره  
فابتدر زيد وأنشأ يقول :

هَلَّا سَأَلْتَ بَنِي نَهَانَ مَا حَسَبِي      عند الطعانِ إذا ما احمَرَّتَ الحَدَقُ  
وجاءت الخليل مُحْمَرّاً بَوَادِرْهَا      بالاء يسفح عن لَبَّائِهَا العَلَقُ

(١) فى أُمالى الزجاجى .

والخيلُ تعلمُ أنى كنتُ فارسها      والجارُ يعلمُ أنى الوابلُ النَدِقُ  
هذا الثناء ، فإن ترَضَى فراضيةً      أو تسخَطى فإلى من تعطفُ العُنُقُ  
وقال أوس بن حارثة : إنك لتعلمين أنا أكرمُ أحساباً وأشهرُ أفعالاً من أن نصف  
أنفسنا لك ، أما الذى يقول فيه الشاعر :

إلى أوس بن حارثة بن لامٍ      ليَقْضَى حاجَتى فيمن قضاها  
فما وطئُ الحصا مثل ابن سَعْدَى      ولا لبس النعال ولا احتذاها  
وأنا الذى عَقَّتْ عقيقته فأعتقت عن كل شعرة منها نسمة ، وأنشأ يقول :

فإن تنكحني ماوية الخير حاتماً      فما مثلهُ فينا ولا فى الأعاجم  
فتى لا يزال الدهر أكبر همَّه      فكاك أسير أو معونة غارم  
وإن تنكحني زيدا قفارس قومه      إذا الحربُ يوماً أقعدتْ كلَّ قائمٍ  
وإن تنكحني تنكحني غير فاجرٍ      ولا جارفٍ جرف العشرة هادمٍ  
ولا مُتَقٍ يوماً إذا الحربُ سَمَرَتْ      بأنفسها نفسى كفعل الأشياءم  
وإن طارق الأضيافِ لآذ برحله      وجدت ابن سَعْدَى للقرى غير عاتمٍ<sup>(١)</sup>  
فأنى هُدَى أهدى لك الله فأقبل      فإننا كرام من رؤوس الأكارم  
وأنشأ حاتم يقول :

أماوى قد طال التجنب والهجرُ      وقد عَدَرْتَنى فى طلابكم العُدْرُ  
أماوى إما مانعٌ فمبِينٌ      وإما عطاء لا يُنْهِنُهُ الزَّجْرُ  
أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى      إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصَّدْرُ  
وقد علم الأوثام لو أن حاتماً      أراد ثراء المال كان له وَفْرُ

إلى أن أتى على القصيدة ، وهى مشهورة . فقالت : أما أنت يا زيد ، فقد وترت العرب ،  
وبقاؤك مع الحرّة قليل . وأما أنت يا أوس ، فرجل ذو ضرائر ، والصبر عليهنّ شديد .  
وأما أنت يا حاتم ، فمرَضِيُ الخلائق ، محمود الشيم . كريم النفس ، قد زوجتْك نفسى !

(١) أى : غير مبطى .

## حبّ سحيم لعائشة بنت طلحة :

قال أبو الحسن على المدائني :

تزوَّج سحيم بن حفص - بعائشة ابنة طلحة عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهو أبو عذرتها فولدت له أولاداً ، منهم طلحة الذي يقول له الشاعر :

أَيَا طَلَحَ إِن كُنْتَ أَعْطَيْتَنِي جُمَالِيَّةً تَسْتَخِفُّ الضَّفَّارَا  
فَاكُنْ تَقَعُكَ لِي مَرَّةً وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَكِنْ مَرَارَا  
أَبُوكَ الَّذِي بَايَعَ الْمُصْطَفَى وَسَارَ مَعَ الْمُهْتَدَى حَيْثُ سَارَا

وقال أيضاً عن سحيم : صارمت عائشة زوجها ، وكان في حُلُقِهَا زَعَارَةٌ ، وكان يَلْقَى مِنْهَا الْبَلَاءَ ، فَقِيلَ لَهُ : طَلَّقْهَا ، فَقَالَ :

وإِنَّ فِرَاقِي أَهْلَ بَيْتِ أَوْدُهُمْ لَهْمُ زُلْفَةٍ عِنْدِي لِإِحْدَى الْعِظَائِمِ  
فَكَيْفَ بَصَفُوا الْعِيشَ مِنْ بَعْدِ بَيْنِهِمْ وَسُخْطُهُمْ يَوْمًا . . . عَنِ الْأَنْفِ خَاطِمِي  
وخطبها مصعب بن الزبير فقالت : إِنْ تَزَوَّجْتَهُ فَهُوَ عَلَى كَظْهِرِ أُمِّي . ثُمَّ سَأَلَتْ أَهْلَ  
الْمَدِينَةِ فَقَالُوا : اعْتَقِي رَقَبَةً وَتَزَوَّجِيهِ . فَتَزَوَّجَهَا فَأَصْدَقَهَا خَمْسَ مِائَةِ أَلْفٍ ، وَأَهْدَى لَهَا خَمْسَ مِائَةِ  
أَلْفٍ . فَقَالَ أَنَسُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ بْنُ زَنِيمٍ :

تَعَطَّى الْفَتَاةُ بِأَلْفِ أَلْفٍ كَامِلٍ وَتَبَيَّتْ سَادَاتُ الْجَنُودِ جِياعاً  
لَوْ فِي أَبِي حَفْصٍ أَقُولُ مُقَالَتِي وَأَبْنُهُ مَا قَدْ أَرَى لَارْتَاعاً  
فَبَلَغَ الشَّعْرُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ : إِنْ مَصْعَباً قَدِمَ خَيْرُهُ .

وقال أبو الحسن عن الشعبي : كَانَ يَجَالِسُنَا أَيَّامَ الْفَتَنِ رَجُلٌ فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتَ ؟  
قَالَ : مَوْلَى عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ ، خَطَبَهَا مَصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَتَزَوَّجَهَا فَأَحْبَبَهَا ، وَكَانَتْ  
امْرَأَةً جَمِيلَةً فِي أُذُنِهَا عِظَمٌ ، وَفِي سَاقِهَا حَمُوشَةٌ <sup>(١)</sup> . وَقَالَ قَوْمٌ : فِي قَدَمِهَا عِظَمٌ .

(١) الحموشة : الدقة .

ورَوَى عن الشعبي أنه قال : أخذ بيدي معصب ، ففضى وأنا معه حتى دخل منزله ويده في يدي ، فرفع سترأ فإذا عائشة ، وإذا هي أحسن الناس وجهاً ، فأعرضت وخلاني ودخل ، فرجعت . ثم رحتُ إليه بالعشي وهو جالس ، فأشار إلي بيده وقال : أرأيت ذاك الإنسان ؟ قلت : نعم . فقال : أفرأيت مثله ؟ فقلت : لا . قال : تلك ليلي التي يقول فيها الشاعر :

ومازلتُ من ليلي لذن طرّشاربي إلى اليوم أخفى حبّها فأباين<sup>(١)</sup>  
وأحملُ في ليلي لقلبي ضغينةً وتُحملُ في ليلي على الضفائنُ

ياشعبي : رأيت عائشة وما يدلك إذ رأيتها من صلة ، ثم قال لا بن أبي فروة : أعط الشعبي عشرة آلاف درهم وعشرين ثوباً . فقتل عنها مصعب . وأبنا الحسن قال : قال سلم بن قتبية : رأيت عائشة بنت طلحة بمكة في المسجد ، فسلمت عليها وانتسبت لها ، فبكت وقالت : يرحم الله مصعب ، ثم أرادت النهوض ، فأخذت امرأتان بيديها - وعندها نسوة - فاعتمدت على المرأتين ، فما كادت أن تستقل حتى خذلها وركهاها ، فقالت إحدى المرأتين : إنّا بك لمتعبات ، وكانت مديدة الجسم ، مكنتزة اللحم ، على نصيب وافر من حسن الصورة وإشرافها .

الثريا وعمر بن أبي ربيعة<sup>(٢)</sup> :

حدثنا الزبير بن بكار ، عن مسلمة المخزومي عن أيوب : أنّ عمر بن أبي ربيعة كان متعلقاً بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . وكانت أهل ذلك جمالاً وتاماً ، وكانت تصيف بالطائف . وكان عمر يندو عليها على فرسه ، فيسأل الرّكبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار ، فلقى يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم ، فقال : ما استطرفنا خبراً ، إلا أننى سمعت عند رحيلنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قريش نسيت اسمها ، ولعله نجم في السماء . فقال عمر : الثريا ؟ قال : نعم .

(١) البيتان لكثير عزة كما في الأغاني ( ٢ : ١٣٢ ) وروايته : « وأداجن » .

(٢) في الأغاني ج ١ .

وكان عمر قبل ذلك قد بلغه أنها عليلة ، فَوَجَّهَ فرسه إلى الطائف يركضه ، وسلك أخشن الطرق وأقربها ، حتى انتهى إلى الثريا ، وقد توقعتة وهي تتشوف له فوجدها سليمة ومعهما أختاها : رضا وأم عثمان ، فأخبرها الخبر فضحكت وقالت : أنا أمرتهم لأختبر مالى عندك فقال عمر فى ذلك هذا الشعر :

تشكى الكُمَيْتُ الجُرَى لما جهدته      وبين لو يستطيع أن يتكلماً  
فقات له : إن ألقَ للمين قرَّةً      فهان على أن تكلّ وتسأماً  
لذلك أدنى دون خلى رباطه      وأوصى به ألا يهان ويكرماً  
عدمت إذن وفرى وفارقت مهجتي      لأن لم أفلِ قرناً إن الله سلماً

فقال مَسْلَمَةُ بن إبراهيم : قلت لأيوب بن مَسْلَمَةَ : أكانت الثريا كما يصف عمر ابن أبي ربيعة ؟ فقال : وفوق الصفة ، كانت والله كما قال عبدُ الله بن قيس :

حبذا الحجُّ والثريا ومن بال      خيف من أهلها وماقى الرِّحالِ  
ياسليمان إن تلاق الثريا      تلقَ عَيْشَ الخلود قبل الهلالِ  
دُرَّةٌ من عقائل البحر بكر      لم يشنها مُثاقِبٌ للآلى  
تعقد المئزر السَّخَام من الحرِّ      على حِقْوِ بادنٍ مكسالِ

وحدثنا عمر بن شبة قال : أخبرنا محمد بن يحيى قال : زعم عبيد بن يعلى - قال حدثني كثير بن كثير السهمى قال : لما ماتت الثريا ، أتانى الغريض فقال لى : قل أبيات شعر أنح فيها على الثريا ؛ فقلت :

ألا ياعين مالكِ تدمعينا      أمن رمدٍ بكيت فتكحلينا ؟  
أم أنت حزيمة تبكبين شجواً      فشجوك مثله أبكى العيون !



## أبو الأسود الدؤلى وامراته وابنهما :

قال صاحب « سناء المهتدى » .

تنازع أبو الأسود الدؤلى وامراته فى ابن لهما ، وترافعا إلى زياد - وأراد كلّ أخذه ، فقالت المرأة : أصلح الله الأمير ، هذا ابني ، كان بطنى وعاءه ، وحجرى فناءه ، وثديى سقاءه ، أكلؤه إذا نام ، وأحفظه إذا قام ، فلم أزل بذلك سبعة أعوام ، حتى استوفى فصاله ، وكلتُ خصاله ، واستوكمتُ أوصاله ، وأملتُ نفعه ، ورجوتُ دفعه ، أراد أن يأخذ منى كرها ، فأنصفتنى فقد أراد قهرى ، وحاول قسرى .

فقال أبو الأسود : حملته قبل أن تحمله ، ووضعته قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه فى أدبه ، وأنظر فى تقويم أوده ، وأمنحه على ، وألهمه حلمى ، حتى يكمل عقله ، ويستكمل نبذه .

فقالت المرأة : صدق أصلحك الله . حمله خفًا ، وحملته ثقلًا ، ووضعته شهوةً ، ووضعته كرهاً .

فقال زياد : ارددْ على المرأة ولدَها فهى أحقُّ به منك ، ودعنا من سَجَمِكَ .

\* \* \*

## المجرّد والمرأة التى تبعها :

قال ابن وهب : تبعْتُ جاريةً إلى منزلها ، طامعاً فيها . فسقتنى نبيذاً وغنّت على عُودها بصوتٍ ما سمعتُ أعذبَ منه ، ولا أنفَذَ إلى القلب :

كَأَنّى بالمجرّدِ قدّ علّته . . . نِعالُ القومِ أو خُشبُ السّواري

فقلتُ لها : جُعِلْتُ فداءك ، لم أفهم هذا الشعر ولا أحسبه ممّا يُفنى به . قالت : أنا أولُ من تفنّى به ، وإنّما هو بيتٌ لا يدري قائله ومعه بيتٌ آخر .

قلت : سُرِّينِي بِأَنْ تُغْنِيَنِي لَعَلِّي أَفْهَمُ . قالت : ليس هذا وقته ، هو آخر ما أتعنى به .  
قال : وجعلتُ لَأَنْ أُنَازِعُهَا شَيْئًا إِجْلَالًا لَهَا وَإِعْظَامًا ، فلما أُمْسَيْنَا وجاءت العشاء الأخيرة ،  
وضمتُ عودَهَا ، فقمْتُ فَصَلَّيْتُ وما أدرى كم صَلَّيْتُ عَجَنَةً وَتَشَوُّقًا . فلما سلمتُ ، قلتُ :  
تَأْذِنِينَ لِي جُعَلْتُ فِدَاءَكَ فِي الدُّنُوِّ مِنْكَ ؟

قلت : هذا لك ، ولكن بعد أن يتجرّد كلُّ مَنَّا . ثم ذهبت كأنها تريد أن تخلع ثيابها ،  
فكدت أن أشقَّ ثيابي من العجلة للخروج منها ، ولما قت بين يديها متجرّدًا . قالت :  
انتَه إلى زاوية البيت ، وأقبل إلى مقبلًا ومدبرًا . قال : وبينما أنا في طريقى إلى الزاوية ، أردت  
اجتياز حَصِيرٍ فِي الْفَرْفَةِ ، فأكدت أن أَسْتَقِرَّ فَوْقَهُ حَتَّى هَبَطَ بِي فِي خَرْقٍ تَحْتَهُ ، وإذا أنا  
فِي السُّوقِ مَجْرَدًا ، وإذا شَيْخَانِ هُنَاكَ قَدْ كُنَّا فِي نَاحِيَةٍ ، وَأَعْدَا نَآلَهُمَا . فَلَمَّا هَبَطَتْ عَلَيْهِمَا  
بَادِرَانِي فَقَطَّعَا نَآلَهُمَا عَلَى قَفَايَ ، وجاءَ أَهْلُ السُّوقِ ، فَشَارَكُوهُمْ فِي ضَرْبِي حَتَّى أَنْسَيْتُ اسْمِي  
وَبَيْنَمَا أَنَا أُخْبِطُ بِنَآلٍ مَخْصُوفَةٍ ، وَأَيْدٍ ثِقَالٍ ، وَخُشْبٍ دِقَاقٍ ، إِذَا صَوْتُ مَنْ فَوْقَ الْبَيْتِ  
يَغْنَى :

كَأَنِّي بِالْمَجْرَدِ قَدْ عَلْتَهُ      نَآلُ الْقَوْمِ أَوْ خُشْبُ السَّوَارِي  
وَلَوْ عَلِمَ الْمَجْرَدُ مَا أَرَدْنَا      لِبَادِرِنَا الْمَجْرَدُ فِي الصَّحَارِي

## الشعراء العشاق

جميل بثينة<sup>(١)</sup> :

إنَّه لَمَعْلُومٌ أَنَّ بُثَيْنَةَ محبوبة جميل قائد الشعر، وقد نسب بعض الشعراء بنساء مخصوصة، واشتهر كل واحد منهم بمن تنزل بها، فاشتهر جميل ببثينة، واشتهر كثير بمزّة، وعروة ابن حزام بمفراء، وقيس مجنون بنى عامر بليلي، وقيس بن ذريح بلبنى، والرقش بفاطمة، وذو الرمة بميّة وهي الخرقاء، والعبّاس بن الأحنف بفوز.

وبعض الشعراء لا يلتزم التغزل بامرأة مخصوصة كما مرى القيس .  
وبُثَيْنَةُ مصغّر . بثْنَةٌ - قال صاحب الصحاح : البُثْنَةُ - بالتسكين : الأرض اللينة ،  
وبتصغيرها سمّيت : بُثَيْنَةً .

أمّا قصة جميل بن معمر العذري ، فقد روى صاحب « الأغاني » بسنده ، قال :  
اجتمع جميل مع جماعة من رهطه يتحدثون . فقال بعضهم : بالله حدثنا بأعجب يوم لك مع  
بثينة . قال : نعم . مُنَعْتُ من لقاءى مدة ، وتعرّضت لها جهدى فلم أصل إليها ، فبينما أنا ذات  
ليلة جالس بين شجرات بالقرب من حيفا ، وقد أقيتُ ثلاثا أنتظرها ، إذا شخص قد أقبل  
إلىّ ، فجلست وانتضيت سبقي ، فلم ألبث أن غشيني الشخص ، فإذا هى بثينة قد أكبت  
علىّ . فأدهشنى ذلك ، وبقيت متحيرا لا أحيّر جوابا إليها ، ولا أراجعها كلمة حتى برق الصبح ،  
وما استطعت أن أكلمها .

قالوا : فهل قلت فى ذلك شيئا ؟ فأنشدهم قصيدة طويلة ..

وهذه أبيات من أولها :

أهاجك أم لا بالتناضب مرّيعُ ورسمٌ بأحراج الغديرين ، بلقعُ

ديارُ الليل<sup>(١)</sup> .. إذ نَحُلُّ بها مَآ  
 فياربَ حَبْنِي إِلَها ، وَأَعْطِنِي ۥ  
 وإِلا .. فَصَبِّرْنِي وَإِنْ كُنْتَ كَارِهاً  
 فَإِنْ يَكْ قَدْ شَطْتُ نَوَها وَقَدْ نَأَتْ  
 جَزَعْتُ غَدَاةَ الْبَيْنِ لِمَا تَحَمَّلُوا  
 وَمَا كَانَ مِثْلِي يَا بَيْئِنَةً يَجْزَعُ  
 تَمَتَّعْتُ مِنْهَا يَوْمَ بَانُوا بِنَظَرَةٍ  
 وَهَلْ عَاشِقٌ مِنْ نَظَرَةٍ يَتَمَتَّعُ؟

وروى صاحب الأغاني عن الهيثم أن جيلاً طال مقامه بالشام ، ثم قدم وبلغ بَيْئِنَةً خبره . فراسلته مع بعض نساء الحى ، تذكر شوقها إليه ، ووجدتها به ، وواعدته لموضع يلتقيان فيه ، فصار إليها ، وحادثها طويلاً ، وأخبرها بحاله بمدها .

قال : وقد كان أهلها رصدوها ، فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجا عليها ، فوثب جميل فسل سيفه وشدّ عليهما ، فاتقياه بالهرب . وناشدته بئينة بالانصراف وقالت : إن أقت فضحتنى ، ولعل الحى أن يلحقوك ، فأبى وقال : أنا مقيم ، وامضى أنت وليصنعوا ما أحبوا . فلم تزل تناشده حتى انصرف . وقد هجرته مدةً طويلةً ولم تلقه ، فقال هذه الأبيات الستة :

بمخْتَلِفِ الأرواحِ بَيْنَ سُوَيْقَةٍ<sup>(٢)</sup> وَأَحْدَبِ<sup>(٣)</sup> كَادَتْ بَعْدَ عَهْدِكَ تَخْلُقُ<sup>(٤)</sup>  
 أَضْرَتْ بِهَا النِّكْبَاءُ<sup>(٥)</sup> كُلَّ عَشِيَّةٍ<sup>(٦)</sup> وَنَفَحُ الصَّبَا<sup>(٧)</sup> وَالْوَابِلُ<sup>(٨)</sup> الْمَتَّبِعُ<sup>(٩)</sup>  
 وَقَفْتُ بِهَا حَتَّى تَحَلَّتْ عِمَامَتِي<sup>(١٠)</sup> وَمَلَّ الْوُقُوفُ الْأَرْحَجِي<sup>(١١)</sup> الْمُنَوَّقُ<sup>(١٢)</sup>

(١) لا يخفى أن جيلاً ينسب ببئينة . وإنما ذكرها باسم ليلي جرياً على عادة الشعراء في إخفاء أسماء معشوقاتهم أحياناً .

(٢) سويقة وأحدب : موضعان . (٣) تخلق : تبلى ، يقال خلق الثوب وأخلق .  
 (٤) النكباء : كل ريح تهب بين مهب ريحين لأنها نكبت عن مهبها أى : عدلت .  
 (٥) نفح الصبا : النسيم العليل . (٦) الوابل : المطر العظيم . (٧) المتبعق : المطر العظيم .  
 (٨) عمامتي : بفتح العين من العماية ، هى من عمى القلب . (٩) الأرحجي : الجمل النجيب منسوب إلى أرحب وهى قبيلة ، وقيل خل ، وقيل موضع . (١٠) المنوق : المذلل كاللناقة .

وقال خليلي : إِنَّ ذَا لَصَبَابَةٍ  
تَعَزَّ وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ كَرِيمَةٌ  
فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ الْبُعَادَ يَشُوقُنِي  
أَلَا تَرَجِرُ الْقَلْبَ الْجُوجَ فَيَلْحَقُ  
لَعَلَّكَ مِنْ أَسْبَابِ (١) بَثْنَةٍ تَعْتَقُ  
وَبَعْضُ بَعَادِ الْبَيْنِ وَالنَّأْيِ أَشْوَاقُ

كثِيرٌ عِزَّة :

من «بلاغات النساء» (٢) ما حدثني الزبير بن بكار ، قال : حدثني سليمان بن عباس السَّعْدِيُّ قال : كان كثير بن عبد الرحمن ياتي من يحج من قريش في كل سنة بهدية ، ففعل سنة عنهم ، حتى أصبح يوماً فركب من منزله بكلبة جملاً ، واستقبل الشمس في يوم صائف ، فلم يأت قديداً حتى احترق وضجر وجاء وقد راح الناس ، إلا فتى من قريش تخلف ومعه راحلة له ، على أن يلحق بهم .

قال الفتى القرشي : فَإِنِّي لَجَالِسٌ إِذَا قَبِلَ كَثِيرٌ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِي وَلَمْ يُسَلِّمْ . ثُمَّ جَاءَتْ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ وَسِيمَةٌ ، فَاسْتَنْدَتْ إِلَى خِيَمَةٍ مِنْ خِيَامِ قَدِيدٍ ؛ ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : أَنْتَ كَثِيرُ بْنُ أَبِي جَمْعَةٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَتْ أَنْتَ الَّذِي تَقُول :

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ أَجْلِسُ أَجْلِسُ وَأَعْرِضُ عَنْ هَيْبَةٍ لَا تَجْهَمَا

قال : نَعَمْ . فَتَأَمَّاتُ وَجْهَهُ مَبْتَسِمَةٌ وَقَالَتْ : أَعْلَى مِثْلَ هَذَا الْوَجْهِ هَيْبَةٌ ؟ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَعَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .

فَقَالَ لَهَا : كَثِيرُ : مَنْ أَنْتَ ؟ وَاحْتَدَّ عَلَيْهَا وَهِيَ سَاكِتَةٌ . ثُمَّ قَالَ لَهَا : لَوْ أَعْلَمُ مِنْ أَنْتَ لَقَطَعْتُكَ وَقَطَعْتُ قَوْمَكَ هَجَاءً . فَلَمَّا سَكَنَ ، قَالَتْ لَهُ : أَنْتَ الَّذِي تَقُول :

مَتَى تَنْشُرُوا عَنْيِ الْعَمَامَةَ تُبْصِرُوا جَمِيلَ الْحَيَا أَغْفَاثُهُ الدَّوَاهِنُ ؟  
أَنْتَ جَمِيلُ الْحَيَا ! إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَعَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ :

(١) وقوله : لعلك من أسباب بئنة . روى بدله : لعلك من رق لبئنة . . .

(٢) في إرشاد الأديب ص ١٣٧ .

فضجرك كثير ، وسكنت عنه حتى سكن . ثم قالت : أنت الذى يقول :  
 يروق العيون الناظرات كأنه هِرْقَلِيٌّ وزنِ أحمرِ التَّبرِ وازنِ  
 أهذا الوجه يروقُ العيون ؟ إن كنت كاذباً فمليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .  
 فازداد ضجراً وقال : قد أعلم من أنت ، ولأقطعنك وقومك ، وقام . فالتفت فإذا هى قد ذهبت .  
 قال القرشى : فلما كان منصرفي من قديد ، سألت مولاة هناك عن تلك المرأة وقلت لها :  
 لك على إن أخبرتنى من هى أن أطوى لك ثوبيّ هذين إذا قضيت إحرامى وآتيك بهما -  
 فأدفعهما إليك . قالت : والله لو أعطيتني وزنهما ذهباً ما أخبرتك من هى . هذا كثير -  
 وهو مولاي - قد آيت أن أخبره من هى .  
 قال القرشى : فرحت وبى أشدّ مما بكثيرٍ !

\*\*\*

### عمر بن أبي ربيعة :

كان عمر بن أبي ربيعة<sup>(١)</sup> معروفاً بشغفه حباً فى النساء ، وعشقاً لحاسنهن ، والتشبيب  
 بمن يهواها ، وهذه أبيات له :

وكادت توالى نجمه تنفّورُ	فلما تقضى الليلُ إلّا أقله
هبوب ولكن موعد لك عزورُ	أشارت بأن الحى قد حان منهم
وأيقاظهم قالت : أثير كيف تأمرُ ؟	فلما رأت من قد تنبه منهم
وإمّا ينال السيف ثأراً فيثأرُ	فقات : أباديهم فإمّا أفسوهم
علينا ، وتصديقا لما كان يؤثّرُ	فقلت : أتحيقاً لما قال كلشح
من الأمر أدنى للخفاء وأسترُ	فإن كان مالا بدّ منه فغيره
ومالى من أن تعلماً متأخرُ	أقص على أختي بدء حديثنا

(١) فى خزانة الأدب ج ٣ .

لعلَّهُمَا أَنْ تَبْغِيَا لَكَ مَخْرَجًا      وَأَنْ تَرْحَبَا صَدْرًا بِمَا كُنْتَ أَحْصَرُ  
فَقَالَتْ لِأَخْتَيْهَا : أَعِينَا عَلَى فِتْي      أَتَى زَائِرًا وَالْأَمْرَ لِلْأَمْرِ يُقَدَّرُ  
فَأَقْبَلْنَا ، فَارْتَاعَا . . ثُمَّ قَالَتَا :      أَقْلَى عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَالْخَطْبُ أَيْسَرُ  
يَقُومُ فَيَمْشِي بَيْنَنَا مَتَنَكِرًا      فَلَا سِرَّنَا يَفْشُو وَلَا هُوَ يُبْصَرُ  
فَكَانَ مَجْنَى دُونَ مَنْ كُنْتَ أَتَقَى      ثَلَاثُ شَخْصٍ : كَاعْبَانٍ وَمَعَصَرُ

من شعر أُمَيَّةَ بْنِ الصَّلْتِ فِي الْغَزْلِ :

قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ مِنْ « الطَّوِيلِ » :  
أَلَا حَيًّا لَيْلَى أَجَدَّ رَحِيلَى      وَأَذَنْ أَصْحَابِي غَدَاً بِقُفُولِ  
تَبَدَّتْ لَهُ لَيْلَى لِيَذْهَبَ عَقْلُهُ      وَشَاقَتْكَ أُمُّ الصَّلْتِ بَعْدَ ذُحُولِ  
أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا وَكَأَنَّمَا      تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ  
إِذَا ذُكِرْتَ لَيْلَى تَغَشَّتْكَ عَبْرَةٌ      تَعَلَّ بِهَا الْعَيْنَانِ بَعْدَ نُهُولِ  
وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قَالَ لِي : هَلْ سَأَلْتَهَا ؟      فقلتُ : نَعَمْ ، لَيْلَى أَضَلَّ خَلِيلِ  
وَأَبْعَدُهُ لَيْلَى ، وَأَوْشَكُهُ قَلَى      وَإِنْ سُئِلْتُ عُرْفًا فَشَرُّ مَسْئُولِ  
لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا بُحْتُ عَنْهُمْ      بَلِيلَى ، وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ  
فَإِنْ حَاوَلَ الْوَاشُونَ عَنِّي بِكَذِبَةٍ      فَرَوْهَا ، وَلَمْ يَأْتُوا لَهَا بِحَوِيلِ  
فَلَا تَعْجَلِي يَا لَيْلَى أَنْ تَفْهَمِي      بُنْصَحَ أَتَى الْوَاشُونَ أَمْ بِحُبُولِ  
فَإِنْ تَبَذَّلِي لِي مِنْكَ يَوْمًا مَوَدَّةً      فَقَدِمَا تَخَذْتُ الْفَرَضَ عِنْدَ بَذُولِ  
وَإِنْ تَبَخَّلِي يَا لَيْلَى عَنِّي فَإِنِّي      تَوَكَّلْنِي نَفْسِي بِكُلِّ بَخِيلِ  
وَلَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ خَلِيلِي بِنَائِلِ      قَلِيلِ ، وَلَا أَرْضَى لَهُ بِقَلِيلِ

وليس خليل بالملول ، ولا الذى  
ولكن خليلى من يديمُ وصَّالَه  
ولم أرَ من كَيْلَى نوالاً أعدَه  
يلومُكَ فى كَيْلَى وعقلُك عندها  
يقولون : ودَّعْ عنكَ كَيْلَى وَلَا تَهَمْ  
فما انتفعت نفسى بما أَمُرُوا بِهِ  
وقالوا : نَأَتْ فَاخْتَرْتُ مِنَ الصَّبْرِ والبكا  
توايت محزوناً وقلت لصاحِبِي :  
لقد أَكْثَرَ الواشونَ فينا وفيكُمْ  
وما زلتُ من كَيْلَى لَدُنْ طَرِّ شَارِبِي

إذا غَبْتُ عنه باعنى بِخَلِيلِ  
ويحفظُ سرِّي عند كلِّ دخيلِ  
أَلَا رَبِّمَّا طالبتَ غيرَ مَنيلِ  
رجالٌ ، ولم تذهبْ لهم بعقولِ  
بقاطمة الأقرانِ ذاتِ خليلِ  
ولا عُجْتُ مِنْ أقوالهمُ بِقَتِيلِ  
فقلت : البكا أَشْفَى إِذْنٍ لِنَلْبِي  
أَقَاتِلْتِ كَيْلَى بنيرَ قَتِيلِ ؟ !  
ومالَ بنا الواشونَ كلَّ مَمِيلِ  
إلى اليومِ كالْمَقْصَى بكلِّ سَبِيلِ

### حب امرئ القيس :

من بين جبال اليمن السعيدة وقد اشتهرت بنحصب أرضها - جبل يقال له : ضارج . . .  
وهو جبل معروف يعلو سفحه نبات أخضر يسمى « العَرْمَضُ » ويملو الماء فيه مكان مرتفع  
يقال له « طامى » ويقال له أيضاً : ثَوْرُ الماء ، لتفجّر ثورانه من بين صخور وأحجار .  
وقد ذكر البكرى أَنَّ ركباً من اليمن خرجوا يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم -  
فأصابهم ظمأ شديد كاد يقطع أعناقهم ، فلما أتوا « ضارجاً » وهو ذلك الجبل الذى  
ينىء عليه الظلُّ وارفاً جميلاً من نبات العرمض ، بحُضْرَتِهِ اليانعة ورائحته الطيبة . . . ذكر  
أحدهم قول امرئ القيس :

ولما رَأَتْ أَنَّ الشريعةَ هُمَّها      وَأَنَّ البياضَ من قرائضها دَامِي  
تيمَّمتِ العينُ <sup>(١)</sup> التى عند « ضارج »      ينىءُ عليه الظلُّ عَرْمَضُها طامِي <sup>(٢)</sup>  
وإنَّه لخبر عجيب - سقناه - على أثر من آثار الطبيعة التى أبدع الله صنعها .

(١) إشارة إلى الماء . (٢) الطامى : المرتفع الذى يعلو نباته الماء .



## ذو الرّمة وميّة :

اشتهر ذو الرّمة بحبّ خرّقاء ، ولُقِّبَتْ : مِيَّة . ومما يؤثّر عنه أنّه يخاطب نفسه -  
في قصيدة طويلة كلّها غزلٌ ونسيبٌ فيقول :

إذا قلت ودّع وصل خرّقاء واجتنب زيارتها تخلقُ حبال الوسائل  
وأهله ودّ فد تَبَرَّيتُ ودّهم وأبليتُهم في الحمد جَهْدِي ونائلي

\*\*\*

## توبة ويلي الأخيلية :

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان ، وأبو إسحاق الزجاج ، عن أبي العباس محمد  
ابن يزيد المبرّد . قال ثبتت الروايات والأخبار أنّ « ليلي الأخيلية <sup>(١)</sup> » لم تكن امرأة  
توبة بن الحمير ولا أخته ، ولا كان بينهما نسب شابك ، إلّا أنّهما كانا  
جميعاً من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وكان يحبها وتحبّه ،  
فأقاما على حبّ عفيفٍ دهماً ، وتلك هي السنّةُ في عشاق بني عذرة وغيرهم ، إلى أن قتل  
توبة . وكان سبب قتله أنّه كان يطلبه بنو عوف - فأحسّوا قدومه من سفره ، فأتوه طروقاً ،  
وبينه وبين الحيّ مسيرة ليلة ، ومعه أخوه « عبد الله ، ومولاه قابض » فهربا وأسلماه ،  
ففي ذلك تقول « ليلي » :

دعا قابضاً والمرهفات تنوشه فقبّحت مدعواً ، ولُبّيت داعياً  
فيا ليت عبد الله حلّ مكانه فأودى ، ولم أسمع لتوبة ناعياً  
ومن جيّد ما ترثيه به قولها :

فأقسمت ، أبكي بعد توبة هالكاً وأحفل من دارت عليه الدوائر  
لعمرك ما بالموت عارٌ على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المغايرُ  
فلا الحيّ ممّا يحدث الدهر سالمٌ ولا الميت إن لم يصبر الحيّ ناشرٌ

(١) في أمالي أبي القاسم الزجاجي ص ٥٠ .

وكلُّ شبابٍ أو جديديٍّ إلى بلى      وكلَّ امرئٍ يوماً إلى الله صائِرُ  
فلا يُبعدنكَ اللهُ توبةً هالِكاً      أذا الحربُ إذ دارت عليه الدوائرُ  
وأقسمت لا أتقُّ أبكيك مادعتُ      على غصن ورقاءٍ أو طار طائرُ  
قتيلُ بني عوفٍ فيالهفتا له      وما كنت إياهم عليه أحذرُ

قال أبو القاسم رحمه الله : قولها : « أقسمت أبكى بعد توبة هالِكاً » أى : لا أبكى بعد توبة هالِكاً . والعرب تضرر « لا » فى القسم مع المعنى - لأنَّ الفرق بينهُ وبين الموجب قد وقع بلزوم الموجب اللام والنون - كقولك والله لأخرجن ، وقال الله عز وجل : « قاله تفتأ تذكر يوسف » أى : لا تفتأ تذكر يوسف . وقولها : « ولا الميت إن لم يصبر الحى ناسر » يقال : نشر الله الموتى فنشروا - أى . أحياهم فحيوا .

قال الشاعر :

لو أسندتُ ميتاً إلى نحرها      عاشَ ولمْ ينقل إلى القابرِ  
حتى يقول الناس ممّا رأوا      يا عجباً للميت النّاسرِ

ومن أغرب ما روى فى ( الصّدَى ) ما رواه أبو على من أن ليلَى الأخيلية مرّت مع زوجها فى بعض نجعهم بالموضع الذى فيه قبر توبة ، وكانت متزوجة فى بنى الألكح بن عبادة ابن عقيل . فقال لها زوجها : لا بد أن أعرج بك إلى قبر توبة كي تسلمى عليه حتى أرى هل يجيب صدهاء كما زعم - حيث يقول :

ولو أن ليلَى الأخيلية سلّمتُ      علىّ ، ودونى جندلُ وصفائحُ  
لسلّمتُ تسليم البشاشة . . أو زقا      إليها صدى من جانبِ القبرِ صائحُ

فقال له : وما تريد من رمةٍ وأحجار ؟ ! فقال : لا بدّ من ذلك ، فعدل بها عن الطريق إلى القبرِ ، وذلك فى يوم قاطظٍ ، فلمّا دنت راحلتها من التبر ورفعت صوتها بالسلام عليه ، إذا بطائر قد استظلّ بجحارة القبر من فيح الهاجرة ، فطار ، فنفرت راحتها ووقعت ، فماتت !

وفي هذا الخبر ما يحقق ويصدق أن : البلاء موكلٌ بالمنطق . كما يروى أن أحد المولعين بالخمر قال :

إِذَا مِتُّ فَادْفِنْنِي إِلَى جَنْبِ كَرْمَةٍ      تُرَوِّى عِظَامِي فِي الْمَاتِ عَرَوْهَا  
وَلَا تَدْفِنُونِي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي      أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ إِلَّا أَذَوْهَا  
وبعد حين من ذلك ، مات ذلك المولع بالخمر ، وزار قبره ذاك كرم له فإذا هو عليه عريش ،  
فتمعجب من ذلك !

عبيد الله بن طاهر وجاريته :

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج - قال : أخبرنا أبو العباس المبرّد قال :  
دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر - وقد فصد فظننت أن ذلك لعله ، فأكثر له من  
الدعاء . فقال : خَفِّضْ عَلَيْكَ أبا العباس ، فليس ذلك لعله ، وانظر ماتحت البساط ، فنظرت فإذا  
رقعة فيها :

حَلَفَ الظَّرِيفُ بِقَطْعِهِ يَدَهُ      إِنْ مَسَّ مِنْ يَهُوَاهُ بِالْأَلَمِ  
حَتَّى إِذَا ضَاقَ الْفَضَاءُ بِهِ      جَمَلَ الْفَصَادَ تَحِلَّةَ الْقَسَمِ  
قلت : حَسَنُ أيها الأميرُ . فاسييه؟ قال مددت البارحة يدي إلى إحدى الجوارى بالضرب  
فَأَلَمْتُ لما نالها من الألم ، فخلعت بقطع يدي ، فَأُتِيتُ بِالْفَصْدِ ، ففعلت . وَأَنشَدْنَا الْأَخْفَشَ  
لأبي نواس :

مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَقْرُءُ خُفُوقًا      وَأَرَاكَ تَرَعَى النَّجْمَ وَالْعِوَقَا  
وَجَفُونَ عَيْنِكَ قَدْ نَثَرْنَ مِنَ الْبَكَا      فَوْقَ الْمَدَامِ لَوْلُوا وَعَقِيقَا  
لَوْ لَمْ يَكُنْ إِنْسَانُ عَيْنِكَ سَابِغًا      فِي بَحْرِ دَمْعَتِهِ لَمَاتَ غَرِيقَا

بحر هوى ليس له شطّ :

أخبرنا أبو بكر محمد بن دُرَيْد قال : أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال :  
دخل بعض الشعراء على يحيى بن خالد البرمكيّ ، وبين يديه جارية يقال لها : خنساء ،  
وكانت شاعرة ظريفة ، فقال له : اعْبَثْ بِهَا فَأَنْشَأْ يَقُول :

خنساء خنساء وحتّى متى يرتفعُ الناسُ وتَنَحَّطُ  
قد صرت نضوا فوق فرش الهوى كأننى من دقتى خيْطُ  
فقال خنساء :

وكيفَ منجأى وقد حلّ بى بحرُ هوى ليس له شَطّ  
يدركك الوصلُ فتنبجُو به أو يقع الحجر فتَنَحَّطُ

حب زينب بنت إسحاق النصرانى :

من فوائد الرّضى الشّاطبيّ المذكور ، ما ذكره أبو حيّان فى الحبّ قال : وهو من  
غريب ما أنشدنا الإمام اللّغوى رضى الدّين أبو عبد الله محمد بن علىّ بن يوسف الأنصارى الشّاطبيّ  
لزينب بنت إسحاق النصرانى :

عدىّ وتيمّ لا أحاولُ ذكرهم بسوء ولكنّى محبّ لها ثم  
وما يعتربنى فى علىّ ورهطه إذا ذكروا فى الله لومة لائم  
يقولون : ما بال أنصارى تحبّهم وأهل النّهى من أعرب وأعاجم  
فقلت لهم : إنى لأحسبُ حبّهم سرى فى قلوب الخلق حتّى البهائم

## التائب من الحب :

قال الحجازي<sup>(١)</sup> : قال عبد الوارث : كان فيمن يقرأ على مملوك مديحُ الوجه ، رضى الخلق ، حاد الذكاء . فَخَلَوْتُ به يوماً ، وداعبته بعبارات تُذَيِّبُ عن شدة شغفى به ، فقال لى : حذار أن تعود لثُل هذا الكلام ، فللجُذران آذانٌ ، وربُّ عثرةٍ لسانٍ ، أودت بإنسانٍ . . . ولكن إذا لم تستطع الكتبان ، فاكتب لى ما تحب أن تقوله فى ورقة فتكون فى أمانٍ واطمئنان .

قال : فلما سمعت ذلك منه تمكّن الطمع منى ، وكتبت فى ورقة :  
يا مَنْ لَهُ حُسْنٌ يَفُوقُ به الْوَرَى صِلْ هائِماً قد ظَلَّ فيكَ مُحَيِّراً  
واثْمُنْ على بَسَاعَةٍ فى خَلْوَةٍ إن كنتَ تَطْمَعُ فى الهوى أن تُوجِرَا  
وكتبت تحت البيتين كلاماً كثيراً فى هذا المعنى ، ثمّ دفعت إليه الورقة خِلْسَةً .  
فلما حصلت الورقة عنده - كتب إلى فى غيرها : إنك كَتَمْتُمْ أَنّى من بيت عريق  
فى التَّقْوَى . وسأبقى عندى خَطُّك شاهداً على ما فَرَطَ مِنْكَ ، وَلَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأُطْلِعَنَّ  
عليها أبى وغيره . فتصيبك فضيحة الأبد .  
أما إن انتهيت فلن أخبر بها أحداً أبداً .  
فلما وقفت على خطه ، علمتُ قدر ما وقعتُ فيه ، وجعلتُ أُرْغَبُ إليه فى أن يَرُدَّ الرُّقْمَةَ  
إلىّ ، فأبى وقال :

هى عندى رهن على وفائك بآلا ترجع إلى التكلّم فى ذلك الشأن .  
ولم يسعنى إلا أن امتثلت ، لأنّى رأيت صيانتى وناموسى فى يده ، وتبت عن مثل هذه  
المداعبات .

# الحب والجمال

## حب امتداح النساء :

كان أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي - من الشعراء المطبوعين على حب امتداح من يراه من النساء ، عن براءة في القصد ، تحمّل في طياتها روحاً لا تؤمن إلا بالواقع ، مهما يكلفه ما قصد إليه ، دون أن يقيم لذلك وزناً في استجلاب مرضاة أحدٍ ، ومهما يعترضه من خصوم أو لائمين ، فن وسائله قلائده :

مضت الشبيبة والحبيبة فالتقى  
دمعان في الأجنان يزدهمان  
ما أنصفتني الحادثات رميني  
بعودعين ، وليس لي قلبان  
وقوله من أخرى :

قلت للعين حين شامت جمالاً  
من بروق كواذب الإغاض  
لا يفرّئك هذه الأوجه المرّة  
فيارب حية في رياض  
وقوله من أخرى أيضاً :

خليلي عهدي بالليالي صوافياً  
فأبذلن جياً بصادها ؟  
ولا تحسباً عيشي على فائني  
أورخ يوم الموت يوم افتقادها  
ولست أحب الضوء إلا لوجهها  
ولا البدر إلا طالماً من بلادها  
ولو أنني أنصفتها ورعيتها  
لسار فؤادي في طريق فؤادها  
خليلي هل أبصرتما مثل أدمي  
نفذت وحق الله قبل تقادها

\*\*\*

وقال بعض الحكماء : ما آنس الإنسان ، ولا عمر المكان ، ولا سلى الأحران ،  
ولا أعان على الزمان ، مثل البيض العوان .

وفي كتاب مُسْلِمٍ ، أن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قال : « الدنيا متاع ، وخيرُ متاعِ الدنيا المرأةُ الصَّالِحَةُ » .

وفي كتاب « الأربعين » للثقي عن أبي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قال : سئل النبي - صَلَّى الله عليه وسلم : أىُّ النساءِ خيرٌ ؟ فقال : التى تسره إذا نظر ، ولا تمصيه إذا أمر ، ولا تحالفه فيما يكره من نفسها ، ولا ماله .

وفي « الشهاب » : « النظرُ إلى المرأة الحسنة يزيدُ فى البصر » ولله درُّ أبى نواس إذ يقول :

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا      إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا  
وقال شاعر آخر :

وَيَقْبِضُ مِنْ سِوَاكَ الْفِعْلُ عِنْدِي      فَتَفْعَلُهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَ  
وقال غيره :

وَإِذَا الْحَبِيبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ      جَاءَتْ مُحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعٍ

### أعرابي يصف امرأة :

قال المُتَنَبِّئِيُّ<sup>(١)</sup> : سمعتُ أعرابياً يصف امرأة فقال : بيضاء جَعْدَةٌ ، لا يمسُّ الثوبُ منها إلا مُشَاشَةً كَتَفَيْهَا ، وَحَامَةً تُدَيِّبُهَا ، وَرَضْفَى رُكْبَتَيْهَا ، وَجَانِبِي أَلْيَتَيْهَا ، وَأَنشَدَ :

أَبَتْ الرِّوَادِفُ وَالْتِدَى لَقَمَصِهَا      مَسَّ الْبُطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا  
وَإِذَا الرِّيَّاحُ مَعَ الْعَشِيِّ تَنَاوَحَتْ      نَبَّهْنَ حَاسِدَةً ، وَهَجَّنَ غَيُورًا

وقال آخرُ : لَيْتَ فُلَانَةٌ حَظَّتْ مِنْ أَمَلِي ، وَلَرُبَّ يَوْمٍ سَرَتْهُ إِلَيْهَا حَتَّى قَبَضَ اللَّيْلُ بِصَرِي دُونَهَا ، وَإِنَّ مِنْ كَلَامِ النِّسَاءِ مَا يَقُومُ مَقَامَ الْمَاءِ فَيَشْفِي الظَّمَاءَ .

وذكر أعرابي امرأة فقال : تلك شمسُ باهتِ بها الأرضُ شمسَ سَمَائِهَا ، وليسَ لي شفيعٌ في اقتضائها ، وإنِ نفسى لكتومٌ لِدَائِهَا ، ولكنها تفيضُ عند امتلائِهَا . أخذ هذا المعنى حبيب فقال :

ويا شمسُ أرضِهَا التى تَمَّ نُورُهَا      فباهتِ بها الأرضونَ شمسَ سَمَائِهَا  
شكوتُ وما الشكوى لِمِثْلِى عادةٌ      ولكن تفيضُ النفسُ عند امتلائِهَا

وقيل لأعرابي : ما بالُ الحبِّ اليومَ على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ قال : نعم ، كان الحبُّ فى القلب ، فانتقل إلى المِعدة ، إن أطعمتهُ شيئاً أحبَّها ، وإلا فلا . كان الرجلُ إذا أحبَّ امرأةً ، ظلَّ حَولاً يطوفُ بِدارِهَا ويفرح إن رأى من رآها ، وإن ظفرَ منها بِمِجْلِسٍ تشاكياً وتناشداً الأشعارَ ، وإنه اليومَ يشيرُ إليها وتشيرُ إليه ، ويمدُّها ويمدُّه ، فإذا اجتمعوا لم يشكوا حبًّا ولم يُنشدوا شعراً .

وقال أعرابي يشكو لوعةَ الحبِّ وكِثْمَانَهُ وصبرَهُ على من يُحبُّه ولا يطيق سُلْوَانَهُ :

شكوتُ فقالتُ : كلُّ هذا تبرِّماً      بِحُبِّى ، أراحَ الله قلبك من حُبِّى  
فلما كتمتُ الحبَّ قلتُ : لشدَّ ما      صَبَرْتُ ، وما هذا بفعلٍ شَجَى القلبِ  
وأدنو فتقصيني فأبِدُ طالباً      رضاها ، فتعتدُّ التَّبَاعِدَ من ذَنبِى  
فشكواى تُؤذِيهَا ، وصبرى يَسُوها      وتجزعُ من بُعْدِى ، وتنفرُ من قُرْبِى  
فيا قوم هل مِنْ حيلةٍ تَعْلَمُونَهَا ؟      أُشِيرُ وابِهَا ، واستَوْجِبُوا الشُّكْرَ مِنْ رَبِّى

\*\*\*

الوصف بعد المشاهدة<sup>(١)</sup> :

اشتهر القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني بروائع الكَلِمِ فى نَظْمِ الشعر ، واتخذ لنفسه طرائقَ سهلةً ، غاية فى البساطة ، فكان يسمو بوصف ما أحسَّ به ، واستساغهُ ، ويكسوه من رقة المعانى أسلوباً جميلاً يترَبُّهُ إلى الفهم ، حتى يتذوق أنعامه المستمعُ شراباً



عذبا سلسبيلا ، ويملاؤه به المحزون صدره نسيما صافيا عليلا ، ومن بدائع طرفة قوله :

أفدى الذى قال وفى كفه مثل الذى أشرب من فيه

الورد : قد أبتغ فى وجنتى قلت : فمى بالثمن ينجيه

وقوله ، ولم أسمع فى التعريض بالالتحاء أحسن منه :

قد برّح الحب بمشتاقك فأوله أحسن أخلاقك

لا تجفّه وارغ له حقه فإنه آخر عشاقك

وقوله فى فصد الحبيب :

ياليت عيني تحملت الملك وليت نفسى تقسمت سقمك

وليت كف الطيب إذ فصدت عرقك أجرت من ناظرى دمك

أعرتة صبغ وجنتيك كما تغيره إن لثمت من لثمتك

طرفك أمضى من حد مبضعه فالحظ به العرق واغتيم الملك

وقوله من قصيدة أولها :

من أين للعارض السارى تلؤه وكيف طبق وجه الأرض صيبه

هل استمان جفونى فهى تنجده أم استعار فؤادى فهو يلهبه

ومنها :

بجانِبِ الكرم من بغداد لي قمرٌ ولولا التجمل ما أنفك أندبه

وصاحب ما صحت الدهر مندبتٌ دياره ، وأرانى لست أصحبه

فى كل يومٍ لعمري ما يؤرقها من ذكره ولقلبي ما يعذبه

وما البعاد دهاني ، بل خلائقه ولا الفراق شجاني ، بل تجنّبه

وله أيضاً :

وقالوا اضطرب فى الأرض فالرزق أوسع فقلت : ولكن مطلب الرزق ضيق

إذا لم يكن فى الأرض حرٌ يعيننى ولم يك لي كسب ، فمن أين أرزق ؟

## أَسْنَانُ النِّسَاءِ<sup>(١)</sup> :

قال أبو الحسن الأخفش : من أَحْسَنَ ما قيل في ترتيب أسنان النساء ، وإن كان شعراً ضعيفاً ، قولُ ضَمْرَةَ لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، وقد سأله وصف النساء :

مَتَى تَلْقَى بِنْتَ « الْعَشْرِ » قَدْ نَصَّ نَدِيهَا  
تَجِدُ لَدَّةً مِنْهَا خَفَقَةُ رُوحِهَا  
وَصَاحِبَةَ « الْعَشْرَيْنِ » : لَا شَيْءَ مِثْلُهَا  
وَبِنْتُ « الثَّلَاثِينَ » : الشَّافِ حَدِيثُهَا  
وَأِنْ تَلْقَى بِنْتَ « الْأَرْبَعِينَ » فَغَبِطَةٌ  
وَصَاحِبَةُ « الْخَمْسِينَ » : فِيهَا بَقِيَّةٌ  
وَصَاحِبَةُ « السَّتِينَ » لَا خَيْرَ عِنْدَهَا  
وَصَاحِبَةُ « السَّبْعِينَ » إِنْ تُلِفَ مُعْرَسًا  
وَذَاتُ « الثَّمَانِينَ » الَّتِي قَدْ تَجَلَّلَتْ  
وَصَاحِبَةُ « التَّسْعِينَ » يَرُوعَشُ رَأْسُهَا  
وَمَنْ طَالَعَ الْأُخْرَى ، فَقَدْ ضَلَّ عَقْلُهُ

كُلُّ لَوْءَةٍ الْغَوَاصِ يَهْتَرُ جِيدُهَا  
وَعُرِّيَّهَا ، وَالْحُسْنُ بَعْدَ يَزِيدُهَا  
فَتِلْكَ الَّتِي تَلْهُوُ بِهَا وَتُرِيدُهَا  
هِيَ الْعَيْشُ مَارَقَتْ وَلَا دَقَّ عُودُهَا  
وَحَيْرُ النِّسَاءِ : أَوْدُهَا وَوَلُودُهَا  
مَنْ الْحُسْنِ وَاللَّدَاتِ ، صُلْبُ عَمُودُهَا  
وَفِيهَا ضِيَاعٌ ، لَا حَرِيصَ يُرِيدُهَا  
عَلَيْهَا فَتِلْكَ خَزِينَةُ يَسْتَفِيدُهَا  
مَنْ الْكِبَرِ الْفَانِي وَقَدْ وَرِيدُهَا  
وَبِالْأَيْلِ مِفْلَاقٌ قَلِيلُ هُجُودُهَا  
وَتَحْسِبُ أَنَّ النَّاسَ طُرًّا عَبْدُهَا

\*\*\*

## دَارَةُ يَلْعَبُ فِيهَا الْبَدْرُ<sup>(٢)</sup> :

عُرف الشيخ سعيد السَّعْمَانُ الدَّمَشْقِيُّ ، بِحَبِّ الْجَمَالِ ، وَشَفَفَ بِتَصْوِيرِ مَا يُعْشَقُ تَصْوِيرًا حَسَّاسًا ، وَمِنْ قَوْلِهِ مِثْمُنًا مِصْرَاعُهُ الْآخِرُ :

يَارُبُّ ظَنِّي كَالِدَامِ حَدِيثُهُ  
قَدْ خَلَّتُهُ شَمْسُ النَّهَارِ بِكَفِّهِ  
وَالْوَجْهُ فِيهَا لَا تُخَفِّئُ فَكَاثِمُهَا  
هِيَ دَارَةُ وَالْبَدْرُ فِيهَا يَلْعَبُ

فَيُسَيِّغُهُ سَمْعِي وَعَقْلِي يَطْرُبُ  
مِرَاةُ حُسْنِ لَوْنِهَا يَتَدَهَّبُ

(١) في أمالي أبي القاسم الزجاجي (٢) في سلك الدرر ج ١ ص ٢٠٨ .

وقال العالم أحمد المتيني ، مضمناً نفس المصراع :

عَاتَبَتْهُ وَكَأَنَّهُ مِنْ لُطْفِهِ رَاخٌ تَكَادِلُهَا اللَّوَاظُ تَشْرَبُ  
بِالْعَقْلِ وَالشُّطْرَنْجِ يَلْعَبُ وَهُوَ فُسْطَاطُ حُسْنِ الْمَسْرَةِ يَجْلِبُ  
يَحْكِي الزَّمَرْدُ خَضِرَةً فَكَأَنَّمَا هِيَ دَارَةٌ وَالدَّرُّ فِيهَا يَنْعَبُ

### المرأة والطيب<sup>(١)</sup> :

يَحْمِلُنَ أَرْجَةَ نَضْحِ الْعَبِيرِ بِهَا كَأَنَّ تَطْيِيبَهَا فِي الْأَنْفِ مَشْمُومُ  
الْأَرْجَةِ هُنَا : كِنَايَةٌ عَنِ الْمَرْأَةِ شَبَّهَهَا بِهَا فِي طِيبِ رَأْسِهَا ، وَمَا فِي لَوْنِهَا مِنَ الصُّفْرِ  
وَكُنْتُ الْعَرَبُ تَكْرَهُ بَيَاضَ اللَّوْنِ الْمَفْرَطِ ، وَلِذَلِكَ كَانُوا يَمَيِّيُونَ قَوْلَ الْأَعَشَى :  
وَمِنْ كُلِّ بَيْضَاءٍ رُعْبُوبَةٌ لَهَا بَشَرٌ نَاصِعٌ كَاللَّبَنِ  
وَكَانُوا يَسْتَحْسِنُونَ قَوْلَ ذِي الرِّمَّةِ :  
صَفْرَاهُ فِي نَعِجٍ بَيْضَاءٍ فِي دَعَجٍ كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ

### تنف الوجه بالخيط<sup>(٢)</sup> :

قَالَ النَّازِمُ : لَمَّا اسْتَقَرَّ بِنَا الْمَقَامَ ، بَيْنَ إِقْدَامٍ وَإِحْجَامٍ ، وَدَفَعْنَا الْحَنِينَ إِلَى مَا يُحْمَدُ  
عَقْبَاهُ ، قَرَأْنَا عَلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ دُرَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ :  
فَلَمَّا مَضَى شَهْرٌ وَعَشْرٌ لَمِيرَهَا وَقَالُوا : يَجِيءُ الْآنَ قَدْ حَانَ حِينُهَا  
أَمَرْتُ مِنَ السَّكْتَانِ خَيْطًا وَأَرْسَلْتُ جَرِيًّا إِلَى أُخْرَى قَرِيبًا تُعِينُهَا  
هَذِهِ امْرَأَةٌ تَنْتَظِرُ عَيْرًا تَقْدُمُ وَزَوْجُهَا فِيهَا ، فَأَرَادَتْ أَنْ تَنْتَفِ وَجْهَهَا بِالْخَيْطِ وَتَهَيَّأَ لَهُ .  
وَالْجَرِيُّ : الرَّسُولُ . يَقُولُ : أَرْسَلْتُهُ إِلَى جَارَةٍ لَهَا تَسْتَعِينُ بِهَا فِي تَنْفِ وَجْهَهَا بِالْخَيْطِ لِلتَّرْتِيزِ .  
وَبَعْدَ هَذَا سَارَ مُسْتَرَسِّلًا مَعْبَرًا عَنِ الْخَيْطِ بِالسَّلَكِ ، لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْمَعْنَى ، وَأُسْلَسَ فِي الْبَنَى ،

فقال :

فما زال يَجْرِي السَّلْكُ في حرٍّ وَجْهَهَا وَجْهَهَا حَتَّى نَتَتْهُ قُرُونُهَا  
نَتَتْهُ : كَفَّتْهُ . وقُرُونُهَا : ذَوَائِبُهَا . ومنه قول مجنون لَيْلَى لزوجها :  
بِرِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلَى قُبَيْلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبْلَتْ قَاها ؟  
وَهَلْ رَفَّتْ عَلَيْكَ قُرُونُ لَيْلَى رَفِيفَ الْأَقْحَوَانَةِ فِي شَذَاها

تشبيه المرأة ببدر السماء :

بَدَتْ لَيْسُ كَأَنَّهَا بَدَرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى  
قوله : كَأَنَّهَا بَدَرُ السَّمَاءِ ، في مَوْضِعِ الْحَالِ لِلرَّأَةِ أَى : بَدَتْ مِثْلَ بَدَرِ ، وإذا تَبَدَّى  
ظُرِفَ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ كَأَنَّ مِنْ مَعْنَى الْفَعْلِ . أَى : بَرَزَتْ هَذِهِ الرَّأَةُ كَاشِفَةً عَنْ وَجْهَهَا ،  
كَأَنَّها قَدْ أُرْسَلَتْ نَقَابَهَا . ودَلَّ عَلَى هَذَا بِقَوْلِهِ : كَأَنَّهَا بَدَرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى . وَإِنَّمَا فَعَلَتْ ذَلِكَ  
إِمَّا لِلتَّشْبِيهِ بِالْإِمَاءِ حَتَّى تَأْمَنَ السَّبَاءُ ، أَوْ لِمَا تَدَاخَلَهَا مِنَ الرَّعْبِ . ومثله قول الشاعر :  
وَنِسْوَتِكُمْ فِي الرَّوْعِ بَادٍ وَجُوهُهَا يُخْلَنَ إِمَاءُ ، وَالْإِمَاءُ حَرَارُ

\*\*\*

لقاء فتى جميل الوجه في الجنة :

ذكر المبرِّد عن أَبِي كَامِلٍ ، عن إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عن رَجَاءَ بْنِ عَمْرٍو النَّخَعِيِّ قَالَ :  
كَانَ بِالْكُوفَةِ فَتًى جَمِيلُ الْوَجْهِ ، شَدِيدُ التَّعَبُّدِ وَالْاجْتِهَادِ . فَنَزَلَ فِي جَوَارِ قَوْمٍ مِنَ النَّخَعِ ،  
فَنَظَرَ إِلَى جَارِيَةٍ مِنْهُمْ جَمِيلَةٍ ، فَهَوِيَهَا وَهَامَ بِهَا عَقْلُهُ . وَنَزَلَ بِالْجَارِيَةِ مَا نَزَلَ بِهِ ، فَأَرْسَلَ يَخْطُبُهَا  
مِنْ أَيْبَاهَا ، فَأَخْبَرَهُ أَبُوهَا أَنَّهَا مَسْتَمَاءٌ لِابْنِ عَمِّ لَهَا . فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِمَا مَا يَقَاسِيَانِهِ مِنَ أَلَمِ الْهَوَى ،  
أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ الْجَارِيَةَ ، قَدْ بَلَغْنِي شِدَّةَ مَحَبَّتِكَ لِي ، وَقَدْ اشْتَدَّ بِلَائِي بِكَ ، فَإِنْ شِئْتَ زَرْتُكَ ،  
وَإِنْ شِئْتَ سَهَلْتُ لَكَ أَنْ تَأْتِيَ إِلَى مَنْزِلِي . فَقَالَ لِلرَّسُولِ : وَلَا وَاحِدَةً مِنْ هَاتَيْنِ الْخَلَتَيْنِ  
« إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ » أَخَافُ نَارًا لَا يَخْبُو سَعِيرُهَا ، وَلَا يَخْمَدُ لَهْبُهَا .

فلمّا أبلغها الرسول قوله ، قالت : وأراه مع هذا يخاف الله . والله ما أحد أحق بهذا من أحد ، وإنّ العباد فيه لمشتركون . ثمّ انخلت من الدنيا ، وألقت علائقها خلف ظهرها ، وجعلت تتعبّد . وهى مع ذلك تذوب وتنحل حبّاً للفتى وشوقاً إليه حتّى ماتت من ذلك . فكان الفتى يأتى قبرها فيبكي عنده ، ويدعو لها . فقلبتة عينه ذات يوم على قبرها ، فرآها فى منامه فى أحسن منظر . فقال لها : كيف أنت وما لقيت ؟ قالت :

نِعْمَ المحبّةُ يَا سُوْلِي محبّتُكُمْ حبّاً يقودُ إلى خير وإحسان  
فقال : على ذلك إلام صرت ؟ فقالت :

إلى نعيمٍ وعيشٍ لا زوال له فى جنّة الخلدِ مُلْكٌ لَيْسَ بالفانى  
فقال لها : اذكرينى هناك ، فإنّى لست أنساك . فقالت : ولا أنا والله أنساك ، ولقد سألت مولاي ومولاك أن يجمع بيننا ، فأعنى على ذلك بالاجتهاد . فقال لها : متى أراك ؟ فقالت : ستأتينا عن قريب فترانا . فلم يعش الفتى بعد الرؤيا إلّا سبع ليال حتى مات ، رحمه الله . وذكر الزبير بن بكار ، أن عبد الرحمن بن أبي عمار نزل مكة ، وكان من عباد أهلها ، فسَمِيَ القسّ من عبادته . فرّ يوماً بجارية تغنى ، فوقف فسمع غناءها فرآه مولاها . فأمر أن يدخل عليها فأبى . فقال له : فأقم فى مكان تسمع غناءها ولا تراها . ففعل فأعجبته . فقال له مولاها : هل لك أن أحوّلها إليك ؟ فامتنع بعض الامتناع ، ثمّ أجابه إلى ذلك . فنظر إليها فأعجبته ، فشغف بها وشغفت به .

وعلم بذلك أهل مكة . فقالت له ذات يوم : أنا والله أحبّك ، وأنا والله أحبّ ذلك . قالت : فما يمنعك ؟ فإنّ الموضع خال ! قال لها : ويحك ، إنّى سمعت الله يقول : « الأخلاء يومئذٍ لمضمهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين » . فأنا والله أكره أن يكون صلة ما بينى وبينك فى الدنيا عداوة يوم القيامة . ثمّ نهض وعيناه تذرفان بالدموع من حبها !

## تكنى المرأة بالشاة أو البيضة<sup>(١)</sup> :

خرج الرشيدُ في بعض أسفاره . فأخرج معه أخته عُلَيَّةَ ، وكان قد بلغه أنها تُعْجَبُ بِنِلامِ نه اسمه « رَشَا » فأبْغَدَه ، وقيل قَتَلَهُ . ثمَّ إنَّها علقت من بعده غلاماً آخر اسمه « طَلَّ » فكانت تكثرُ من ذكرها له . فقال لها الرشيدُ : والله لئن ذكرتِه لَأَقْتُلَنَّكَ ، فدخل عليها يوماً على حين غَفْلَةٍ وهي تقرأ قولَه تعالى : « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ » . فلما شعرت به قرأت أول الآية « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ » ثمَّ أَمْسَكَتْ حتَّى لا تذكر اسم ( طَلَّ ) وأكملت قائلة : « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ . . . فالذى نهى عنه أمير المؤمنين . فابتسم الرشيدُ وقال لها : « ولا هذا أيضاً يا أُخَيَّة » .

وقيل إنَّه أخرج ذلك الغلام من قصره ، فطار قلبها حزناً لفراقه ، وقالت :  
أَيَا سَرَّحَةَ البُسْتَانِ طَالَ تَشَوُّقِي      فَهَلْ لِي إِلَى ظِلِّ إِلَيْكَ سَبِيلُ ؟  
متى يشتفى من لَيْسَ يُرْجَى خُرُوجُهُ      وَلَيْسَ لِمَنْ يَهْوَى إِلَيْهِ دُخُولُ  
فانظر كيف وَرَّتْ « يَظِلُّ » عن طَلَّ « بعد أن قدّمت ذكر السَّرَّحَةِ - وهي الشجرة -  
لتتمكن من لفظة ظَلٍّ فتبعد التَّهْمَةَ . وكثيراً ما تذكر العرب لفظة السَّرَّحَةَ أو الشاة أو  
البيضة أو القلوص ، وهي الشابة من الإبل ، وتكنى بذلك عن المرأة .

وكانت أم حكيم من أجل نساء وقتها ومن أشجع الناس وأحسنهم بديهةً ، خطبها  
جماعةٌ من أشراف الخوارج فردَّتهم ، وكانت مع أمير الخوارج قطريُّ بن الفجاءة ، في جُنْدِ  
( الأَبَاضِيَّةِ ) فكانت ترتجزُ في تلك الحروب وتقول :

أَحْمِلُ رَأْسًا قَدْ سَمْتُ حَمَلَهُ      وَقَدْ مَلَأْتُ دَهْنَهُ وَغَسَلَهُ  
أَلَا فَتَى يَحْمِلُ عَنِّي ثِقْلَهُ ؟

والخوارجُ يَفْدُونَهَا بِالْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ ، وكان « قطريُّ » يُشَبِّبُ بها . وفيها يقول  
في وقعة دُولَاب ، وهو من رقيق الغزل :

لَمَمْرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدُ  
 مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ يَرْ مِثْلُهَا  
 لَمَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ الْأَطْمِ وَجَّهَهَا  
 وَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ دَوْلَابٍ أَبْصَرْتُ  
 غَدَاةَ طِفْتَ عِلْمَاءِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ  
 فَلَمْ أَرَ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ مَقْعَصًا  
 وَضَارِبَةً حَدًّا كَرِيمًا عَلَى فَتَى  
 أُصِيبَ بِدَوْلَابٍ وَلَمْ تَكُ مَوْطِنًا  
 فَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ ذَاكَ وَخَيْلُنَا  
 رَأَتْ فِتْيَةً بَاعُوا الْإِلَهَ نَفُوسَهُمْ  
 وَفِي الْمَيْشِ مَا لَمْ أَلْقَ « أُمَّ حَكِيمٍ »  
 شَفَاءَ لَذَى بَثٍّ وَلَا لَسْقِيمٍ  
 عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ جِدُّ لَيْثِمٍ  
 طِعَانَ فَتَى فِي الْحَرْبِ غَيْرَ ذَمِيمٍ  
 وَعُجْنًا صُدُورِ الْخَيْلِ نَحْوِ تَمِيمٍ  
 يَمِجُّ دَمًا مِنْ فَايِظٍ وَكَلِيمٍ  
 أَعْرَ نَجِيبِ الْأُمَّاتِ ، كَرِيمٍ  
 لَهُ أَرْضُ دَوْلَابٍ ، وَدِيرُ حَمِيمٍ  
 تُبْسِحُ مِنَ الْكُفَّارِ كُلِّ حَرِيمٍ  
 بِجَنَّةٍ عَدْنٍ عِنْدَهُ وَنَعِيمٍ

\* \* \*

أَسْمَاءُ النَّسَاءِ<sup>(١)</sup> :

وَلَا بِنَ الْوَرْدَى فِي « أَسْمَا » :

أَرَى أَسْمَا إِذَا غَضِبَتْ وَصَدَّتْ  
 وَإِنْ هِيَ وَاصَلْتَنِي طَابَ قَلْبِي  
 وَفِيهَا أَيْضًا :

قَدْ لَامَنِي فِي حَبِّ أَسْمَا عَاذِلُ  
 فَاعْجَبْ لِحُرَى مَدَامِعِ أَوْقَتَهَا  
 وَفِي أَمْنَةٍ :

قَدْ وَعَدْتَنِي بِالْوَفَا أَمْنُهُ  
 كَيْفَ يَخَافُ الْقَلْبُ مِنْ بَيْنِهَا  
 وَقَدْ غَدَتِ بِالرِّضَا أَمْنُهُ  
 وَمَهْجَتِي أَخْضَتْ بِهَا أَمْنُهُ

وفيها أيضاً :

هيفاء كالنصن الرطيب قوامها  
تهدّنى بالهجر فى الوصل عامداً  
وللازهرى فى أنس :

أنست بالوصل مذ جاءت به أنس  
عن مالك قد روى نيران وجنتها  
وله فى حليلة :

قالوا حليلة صبحت  
لم لا ترقّ لحالى  
وفى خديجة :

خديجة قد سبتنى  
وكانت الروح تقسو  
بنار خدّ وهيجه  
والآن روحى خديجه

وفيها أيضاً :

تعشق فى الهوى قلبى فتاةً  
أموت بحبّها شوقاً وأحيا  
وفى زينب :

وعرض بذكري حين تسمع زينب  
عساها إذا ما مرّ ذكرى بسمعها  
وفى سلمى :

لسلمى من لواظها سهام  
إذا رامت تشكّ به فؤاداً  
وفى عائشة :

أيا دهرُ خبرنى بِحَمِّكَ واشفنى  
أبجلّ أنى فى المحبة ميتُ  
فسهام فكرى فى أمورى طائشة  
وحبيبتى من بعد موتى عايشة



وفيها أيضاً :

شغل القلب بقدر أهيف  
أنت دعني أن أمت في حبها  
تركت منه العوالى طائشه  
ثم دعها بعد عيني عايشه

وفي فاطمة :

فاطمة مذ كنت طفلاً بها  
كم أرضعتني وصلها بالهنا  
مت جوى وهى بذنا عاله  
ثم أنثنت لى بأنها فاطمه

وفيها أيضاً :

هيفاء كالنصن لها قامه  
قد أرضعت طفل الهوى مره  
عاده مع أنها ظاله  
بوصلها ثم أنثنت فاطمه

وفيها أيضاً :

قانتى قد أصبحت  
ناديتها يا مهجتي  
والبحر منها كظمه  
ما الإسم ؟ قالت : فاطمه

ولالأزهرى فى نفيسة :

نفيسة بالبها ملكت فؤادى  
وقد حازت لفرط سنا بهاها  
وأضحت فى ملاحظتها رئيسه  
وذات الحسن مرتبة نفيسة

ولابن الجليل فى عالة :

عالة عاملة بالجفاء  
قلت لها هل تعلمين الذى  
قامتها عادلة ظاله  
ألقاه قالت إننى عاله

وله أيضاً - فيها :

عالة لها على  
وأوتيت من كل شى  
كرسيها فضل جسيم  
ولها عرش عظيم

ولابن الوردى فى قابله :

أقول لقابله أدمى  
أنا رجل مقبل للقا  
على حبه تقطع السابله  
قالت وأنا امرأة قابله

وله في كاتبة :

كاتبة توقيع نسخ الجفا      يصدر عن سمتها الراحة  
تكنم أسرار رقاى لها      أحسن بها كاتبة كاتمة

وله في فقيهة :

تفقهت في عذابي      وبالت في جدالي  
خود تسيط غراى      عن طرفها الغزالي

ولالأزهرى - في خياطة :

أحببتها كالبدر خياطة      منزلها في القلب والظرف  
فلى ركوب الفرج من وصلها      وللرقيب الشل بالكف

وله في عجانة :

كلف الفؤاد بطبية عجانة      ما كنت يوماً آمناً من هجرها  
عجنت فؤادى بالنرام فؤاها      من أدمعى ودقيقها من خصرها

وله في جبانة - أى بائعة الجبن :

بائعة جبن مُذْ هُمْتُ بها      رأى الورى روحى بها تعبانة  
وكلّ أهل الحى قد تحققوا      بأننى أموت في الجبانة

وله في مسخرة :

عجبت في رمضان من مسخرة      بدية الحسن إلا أنها ابتدعت  
جاءت تسخرنا يوماً فقلت لها      كيف السحور وهذى الشمس قد طلعت

ولابن الوردي في رومية :

رومية الأصل لها مقلة      تركية صارمها هندی  
تفضحنى وجنتها فاعجبوا      من وجنة فاضحة الوردى

وله في مصرية :

مصرية كأنها بدر      فجل من خلق  
تملقنى مكرأ ولا      ينكر من مص الملق

وله في شامية :

شامية شامة بوجنتها  
أخشى من اللامة إذا قبلتها  
يرق لي في حبها الشامة  
فشوم بختي ينطق الصامت

وله في بدوية :

وبي من البدو كحلاء الجفون بدت  
فلو بدت لحسان الحضرة لها  
في قومها كهافة بين آساد  
على الرؤوس وكان الفضل للبادي

وله في عراقية :

بي هيفاء من بنات العراق  
ثم قالت : أتيت من باب ابرز  
أطلقت أدمعي وشدت وثاقي  
بالعطايا رأيت باب الطاق

وله في مشرقية :

جاءت من المشرق لا مالنا  
وقالت : احذر يا فتى فتنة  
في عينها شيء ولاجا هنا  
للناس ، والفتنة من هاهنا

وله في مغربية :

يابنات الشرق حاذرن السطا  
ماظهر البدر من مشرقه  
إن بنت الغرب في موكبها  
كطلوع الشمس من مغربها

ولالأزهري في مجوسية :

عابدة النور سنا نورها  
قد أحرقت قلبي بهجرانها  
أوضح لي في الحب أعدارا  
فالويل ممن يعبد الفارا

وله في نصرانية :

زنار بنت النصارى  
رجاني الشد منه  
فخ لها أي فخ  
وكثرة الشد ترخي

وقال آخر في مليحة تلعب بالشطرنج

لاعبتها بالشطرنج ثم ضربتها  
قالت : فنفسك ، قلت : حصنتها  
بالرخ شاة تسترت بالليل  
لكن خذي فرسي هناك وفيلي

## الغزل ووصف النساء

الغزل والتغزل والفرق بينهما<sup>(١)</sup> :

قيل لأبي السائب المخزومي : أترى أحداً لا يشتهي النسيب ؟

فقال : أما من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا !

والنَّسِيبُ والتَّغَزُّلُ والتَّشْيِيبُ كلها بمعنى واحد .

قيل : الغزل هو إلفُ النساءِ والتَّخَلُّقُ بما يوافقهن ، فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ .

وقدنبه على ذلك « قدامة » وأوضحه في كتابه « نقد الشعر » .

وقال الحاتمي : من حكم النسيب الذي يفتح به الشاعر كلامه ، أن يكون ممزوجاً

بما بعده من مدحٍ أو ذمٍّ ، متصلاً به غير منفصل منه ؛ فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان

في اتصال بعض أعضائه ببعض ، فتمت انفصال واحد من الآخر وبأنه في صحّة التركيب ،

غادر بالجسم عاهةً تتخونُ محاسنه وتُعفى معالم جماله .

ياليل الصب متى غده<sup>(٢)</sup> ؟ :

من نوادر الطرائف ما ذكره « ابن بشكوال » في كتاب الصلة . كما ذكره الحميدى أيضاً .

وهو : كان أبو الحسن ، على الحصريّ القيروانيّ ، ابن خالة أبي إسحاق صاحب « زهر الآداب »

حافظاً فاقها ، وأديباً عالماً بالقراءات وطرقها .

وقد أقرأ الناس القرآن الكريم في « سبّة » وغيرها ، وله قصيدة نظمها في قراءات

نافع عدد أبياتها مائتان وتسعة ، وله ديوان شعر . ومن قصائده السائرة القصيدة المشهورة

التي أولها :

(١) في العمدة : لابن رشيقي ج ٢ ص ٩٤ (٢) في وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤٣٢

يَالَيْلَ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامَ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ  
وقد وازنهما صاحبنا الفقيه نجم الدين موسى بن محمد الكنانى أبو الفضائل المروف  
بالقمرأوى رحمه الله بأبيات من جملتها :

قد ملَّ مريضك عودُهُ	وررتى لِأَسِيرِكَ حُسَدُهُ
لم يُبْقِ جَفَاكَ سِوَى نَفْسِ	زَفَرَاتُ الشَّوْقِ تُصَعِّدُهُ
هاروتُ يُمنَعِنُ فى السَّحْ	رِ إِلَى عَيْنَيْكَ وَيُسْنِدُهُ
وَإِذَا أَعْمَدْتَ اللَّحْظَ فَتَكَ	تَ فَكَيْفَ وَأَنْتَ تُجَرِّدُهُ
كَمْ سَهَّلَ خَدُّكَ وَجْهَ رِضَاً	وَالْحَاجِبُ مِنْكَ يُعَقِّدُهُ
مَا أَشْرَكَ فِيكَ الْقَلْبَ فَكَمْ	فِي نَارِ الْهَجْرِ يُخَلِّدُهُ

أما قصيدة أبى الحسن على المصرى القيروانى فهى :

يَالَيْلَ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ	أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
رَقَدَ السُّمَارُ فَأَرْقَهُ	أَسَفُ اللَّبَنِ يُرَدِّدُهُ
فَبَكَهُ النَّجْمُ وَرَقَ لَهُ	مِمَّا يَرَعَاهُ وَيَرُصُّدُهُ
كَلَفُ بَزَالِ ذِي هَيْفٍ	خَوْفَ الْوَاشِينَ يُشَرِّدُهُ
نَصَبْتُ عَيْنَايَ لَهُ شَرَكَاً	فِي النَّوْمِ فَعَزَّ تَصِيدُهُ
وَكُنِ عَجَاباً أُنِّ قَنِصُ	لِلسَّرْبِ سَبَابِي أَعْيِدُهُ
صَنَمٌ لِلْفِتْنَةِ مُنْتَصِبُ	أَهْوَاهُ وَلَا أَتَعَبَدُهُ
صَاحِ وَالْخَمْرُ جَنَى فَمِهِ	سَكْرَانُ اللَّحْظِ مُعْرِبُهُ
يَنْضُو مِنْ مُقْلَتِهِ سَيْفَاً	وَكَأَنَّ نِعَاساً يَنْعَمَدُهُ
فَيُرِي دَمَ الْمُشَاقِّ بِهِ	وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَتَقَلَّدُهُ
كَلَا ، لَازِبَ لِمَنْ قَتَلَتْ	عَيْنَاهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يَدُهُ
يَأْمَنُ جَحَدَتْ عَيْنَاهُ دَمِي	وَعَلَى خَدَّيْهِ تَوَرَّدُهُ
خَدَاكَ قَدْ اعْتَرَفَا بِدَمِي	فَمَلَامَ جُفُونِكَ تَجَحَّدُهُ

إِنِّي لِأُعِيدُكَ مِنْ قَتْلِي      وَأُظَنُّكَ لَا تَتَمَعَّدُهُ  
بِاللَّهِ هَبِ الْمُشْتَاقَ كَرَّرِي      فَلَعَلَّ خِيَالَكَ يُسَعِّدُهُ  
مَا ضَرَّكَ لَوْ دَاوَيْتَ ضَنِّي      صَبَّ يَدُنِيكَ وَتُبَعِّدُهُ  
لَمْ يُبْقِ هَوَاكَ لَهُ رَمَقًا      فَلَيْبِكَ عَلَيْهِ عُوْدُهُ  
وَعَدًا يَقْضِي أَوْ بَعْدَ غَدٍ      هَلْ مِنْ نَظَرٍ . . يَتَزَوَّدُهُ  
يَا أَهْلَ الشَّوْقِ لَنَا شَرَقٌ      بِالْذَّمِّ يَفِيضُ مُورِدُهُ  
يَهْوَى الْمُشْتَاقُ لِقَاءَكُمْ      وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تُبَعِّدُهُ  
مَا خَلَى الْوَصْلَ وَأَعَذَبَهُ      لَوْلَا الْإِيَّامُ تُنَكِّدُهُ  
بِالْبَيْنِ وَبِالْهَجْرَانِ ، فَيَا      لِفُؤَادِي كَيْفَ تَجَلَّدُهُ  
الْحَبَّ أَغْفُ ذَوِيهِ أَنَا      غَيْرِي بِالْبَاطِلِ يُفْسِدُهُ

\*\*\*

### استحسنان وضاء الوجه<sup>(١)</sup> :

كان لعزّ الدولة غلام ذكيّ وضيّ الوجه ، ولفرط ميله إليه - جعله رئيس سرية جردت  
للحرب ، ولم يستحسن الميهلي ذلك منه ، فكتب إليه :

ظَبْيٌ يَرْقُ الْمَاءُ فِي وَجَنَاتِهِ وَيَرُوقُ عُوْدُهُ  
نَاطُوا بِمَعْقِدِ خَصْرِهِ سَيْفًا وَمِنْطَقَةً تُوُوْدُهُ  
جَمَلَاوُهُ قَائِدَ عَسْكَرٍ ضَاعَ الرَّعِيلُ وَمَنْ يَقُوْدُهُ

وكافت الدائرة على جيش الغلام كما أشار الميهلي ! .

وفي « خزانة الأدب » للبندادي ج ٣ :

الجارية : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، والجميلة هي التي تأخذ بصرك جملة ،  
فإذا دنت منك لم تكن كذلك ، والمليحة هي التي كلما كرّرت بصرك منها زادتك حسناً .

(١) في نفح الطيب .

وقيل : الجميلة هي السَّمينَة من الجليل وهو الشحم . والمليحة : هي البيضاء ، والصبيحة كذلك ، من الصُّبْحِ لبياضه .

وروى أنس عن النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : « حُسْنُ الْوَجْهِ مَالٌ » .  
وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً : « اطلبوا الْخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوهِ » .  
وقال ابن عمر : قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثَةٌ تَجْلُو الْبَصَرَ : النَّظَرُ إِلَى الْخَضِرَةِ ،  
وَالنَّظَرُ إِلَى الْمَاءِ الْجَارِي ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْوَجْهِ الْحَسَنِ » .  
ونظمها الشاعر فقال :

ثَلَاثَةٌ يُذْهِبْنَ لِلرَّءِ الْحَزْنَ الْمَاءُ ، وَالْخَضِرَةُ وَالْوَجْهُ الْحَسَنُ

\*\*\*

## كواكب لا كواعب :

كان عبد العزيز بن سرايا ، وهو الإمام العلامة شاعر عصره على الإطلاق . وقد أجاد القصائد المطولة والمقاطع ، وأتى بما أخجل زهر النجوم في السماء ، كما قد أزرى بزهر الأرض في الربيع ، تطربك ألفاظه المصقولة ، ومعانيه الممسولة ، ومقاصده التي كأنها سهام راشقة وسيوف مسلوطة .

وكان مولده يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ . ورحل إلى مصر سنة ٧٢٦ ، واجتمع بالقاضي علاء الدين بن الأثير ومدحه ، كما مدح السلطان الملك الناصر بقصيدة وازى بها قصيدة المتنبي التي أولها : « بأبي الشَّموس الجانحات غواربا »  
وفيها يقول :

أُسْبَلْنَ مِنْ فَوْقِ النُّهُودِ ذَوَائِبًا      فَتَرَكْنَ حَبَاتِ الْقُلُوبِ ذَوَائِبًا  
وَجَلَوْنَ مِنْ صُبْحِ الْوُجُوهِ أَشْعَةً      غَادَرْنَ فَوْدَ اللَّيْلِ مِنْهَا شَائِبًا  
يُبِضُّ دَعَاهُنَّ النَّبِيُّ كَوَاعِبًا      وَلَوْ اسْتَبَانَ الرَّشْدَ قَالَ كَوَاكِبًا

سَفَهَنَ رَأَى الْمَانَوِيَّةَ عِنْدَمَا  
وسفرن لي ، فرائن شخصاً حاضراً  
أشرفن في حُللِ كَأَنَّ أديماً  
وغربن في كِللِ ، فقلتُ لصاحبي :  
وَمُعْرِيدِ اللَّحْظَاتِ يَنْثَى عِطْفُهُ  
حُلُوُ التَّعْتَبِ وَالذَّلَالِ يَرَوْعُهُ  
عَاتِبَتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ  
فَأَرَانِي الْخَدَّ الْكَلِيمَ فَطَرَفُهُ  
ذُو مَنْظَرٍ تَفْدُو الْقُلُوبُ بِحُسْنِهِ  
لَاغَرَوْا إِنْ وَهَبَ اللَّوَّاحِظُ حَظْوَةً  
أَسْبَلَنَ مِنْ ظَلَمِ الشُّعُورِ غِيَاهِبًا  
شُدِّهَتْ بِصِيرَتِهِ ، وَقَلْبًا غَائِبًا  
شَفَقْتُ تَدْرِهُمُهُ الشُّمُوسُ جَلَابِيَا  
«بِأَبِي الشُّمُوسِ الْجَانِحَاتِ غَوَارِبَا»  
فِيُخَالُ مِنْ فَرَحِ الشَّبِيحَةِ شَارِبًا  
عَتَبِي ، وَلَسْتُ أَرَاهُ إِلَّا عَاتِبًا  
وَأَزُورُ الْخَاطِئًا وَقَطَبَ حَاجِبَا  
ذُو النُّونِ إِذْ ذَهَبَ الْغَدَاةُ مُضَاضِبَا  
نَهَبًا وَإِنْ مَنَحَ الْعِيُونَ مَوَاهِبَا  
مِنْ نُورِهِ ، وَغَدَا لِقَلْبِي نَاهِبَا

### كل فتاة بأبيها معجبة<sup>(١)</sup> :

أرجوزة للأغلب العجلى ، يقول فيها :  
كريمةٌ أحوالها والعصبيةُ  
كأنها حقَّةُ مِسْكِ مُذْهَبَةٍ  
كأنها حِلْيَةُ سَيْفٍ مُذْهَبَةٍ  
ثُمَّ انْتَهَتْ بِهِ فَوَيْقَ الرَّقَبَةِ  
فَعَلَنْتُ بِصَوْنِهَا : أَنْ يَا أَبَةَ  
قَبَاءَ ذَاتِ سُرَّةٍ مُقَعَّبَةٍ  
مَمْكُورَةُ الْأَعْلَى رَدَّاحُ الْحَجَبَةِ  
أَهْوَى لَهَا شَيْخٌ شَدِيدُ الْعَصَبَةِ

« كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَةٌ »

\*\*\*

(١) في خزانة الأدب ج ١ : أرجوزة للأغلب العجلى يقول فيها :



أصل بليتي من قد غزاني<sup>(١)</sup> :

من روائع شعر عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغلبى السعدى الصقلى المعروف بالقاضى الجليس - ما يدعو إلى الحكمة فى غزله - وقد عاش نحواً من سبعين عاماً - كما تولى ديوان الإنشاء للفايز مع الموفق بن الخلال ، ومن مداعبته :

حيّا بتفاحة مخضبة من شفّتي حُبّه وتيمّنى  
فقلتُ : ما إن رأيتُ مُشبهها فاحمرّ من خجلة فكذبني

وقال أيضاً :

وأصلُ بليّتي من قد غزاني طيبٌ طُبهُ كخراب بينِ  
أتى الحمى وقد شاخت وبخت أئى الحصى  
ودبرها بتدبيرٍ لطيفٍ فكأن نوبةً فى كلّ يومٍ  
من السقم المُلحِّ بمسكرين يُفرّق بينَ عافيتي وبينى  
فماد لها الشبابُ بنسختين حكاة عن سُنَيْنِ أو حُنَيْنِ  
فصيرها بحذقي نوبتين

وقال أيضاً :

يا وارثاً عن أبٍ وجدٍ فضيلةُ الطبِّ والسِّدادِ  
وحاملاً ردّاً كلّ نفسٍ همتَ عن الجسمِ بالِمَادِ  
أقسمُ لو قد طببت دهرًا لماد كوناً بلا فسادِ

وقال من جناس بديع :

رُبَّ بَيضٍ سَلَنْ بِاللَّحْظِ بَيضا مرّهفاتٍ جُفُونُهُنَّ جُفُونُ  
وحدودٍ للدمع فيها خُودُ وعُيونٍ قد فاض منها عُيونُ

(١) فى فوات الوفيات .

وقال أيضاً :

جَبَّذَا مُتَمَّةُ الشَّبَابِ يَمُ      ذَرُّ فِي حُبِّهَا خَلِيعُ الْعِدَارِ  
إِذْ بَذَاتِ الْخَمَارِ أُمْتَعُ لَمَلِي      وَبَذَاتِ الْخِمَارِ أَلْهُو نَهَارِي  
وَالْفَوَائِي لَا عَنْ وَصَالِ غَوَانٍ      وَالْجَوَارِي إِلَى جَوَارِي جَوَارِي

\*\*\*

تشبيب عمر بن أبي ربيعة :

كانت عائشة ابنة طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، مديدة الجسم مكتنزة اللحم ، على جانب وافر من الجمال ، حسنة الصورة ، وفي خُلُقها أُنَّةٌ وعزَّةٌ وصرامة ، حتَّى أن أباه ريرة رآها يوماً فسبح وقال : كأنها من الحور .

وقد روى أبو الحسن المدائني ، عن عمر وأبي طارق بن المبارك ، أن عمر بن أبي ربيعة قال يشبب بمائشة ابنة طلحة :

أصبح القلبُ في الخيال رهيناً      مقصداً يوم فارق الظاعنينَا  
لم يرُغنى إلَّا الفتاةُ وإلَّا      دمعُها في الرداء سحاً سخينَا  
عجَّلت حمةُ الفراقِ علينَا      برحيلٍ ولم تحف أن تبينَا  
أنتِ أهوى العبادِ قُرباً ووُدّاً      لو تواتينَ عاشقاً محزونَا  
قاده الطرفُ يوم مرَّ إلى الحية      نـ جهاراً ولم يخف أن يحينَا  
وجلاً برد بركة جندي      ضوء وجهه يضيء لناظرينَا  
فإذا ظنية تراعى نماجاً      ومهاً بهيج الناظر عينَا  
قلتُ : من أنتم ؟ فصدتُ وقالت      أميدٌ سؤالك العالمينَا ؟  
قلتُ : بالله ذي الجلالة لَمَّا      إذ تبتلَّ الفؤاد أن تصدقينَا  
أى من تجمعُ المواسمُ أنتمُ      فأينى لنا ولا تكذبينَا



فلَمَّا أن كان يوماً جالساً عنده، إذ خرجت زوجة الملك وعليها زينتها. ووجهها جميل مشرق، كأنها الشمس الطالعة حسناً وضياءاً، فمَالَتْ النِّزَالُ لا يميل طرفه عنها شفقاً يباهر ما استرعاه منها، وجعل الملك يحدُّثُهُ وهوَ لاهٍ عن حديثه. فأنكر ذلك عليه، وأمر الترجمان بسؤاله. فقال له: عرفته أُنِّي قد بهرنى من حسن هذه الملكة ما قطعنى عن حديثه، فإنى لم أرق قط مثلاً. وأخذ فى وصفها وما شاهده من عجيب جمالها ودلالها، حتى لكأنما شوقته إلى لقاء الحور العين. فلَمَّا ذكر الترجمان ذلك لملك الروم، زاد إعجابه بالشاعر النزال. كما سرَّت الملكة بوصفه لها.

### غزالٌ قد غزا قلبي<sup>(١)</sup>:

فى كتاب «المطرب» حكى أبو الخطاب بن دحية أن النزال، وشهرة اسمه «غزالٌ» أرسل إلى بلاد الجوس، وقد قارب الخمسين أو تزيد، وقد وَخَّطَهُ الشَّيْبُ ولكنه كان مجتمع الأشد، ضليع الجسم، قسيماً وسيماً، فسألته يوماً زوجة الملك، واسمها (تودُ) عن سنه. فقال مداعباً: عشرون سنة. فقالت: وما هذا الشَّيْبُ؟ فقال: وما تنكرين من هذا؟ ألم تَرَى قَطُّ مَهْراً ينتجُ وهو أشهبُ؟ فأعجبت بقوله، وقال فى ذلك:

كَلَّفْتُ يَاقَلْبِي هَوًى مُتَعَباً	غَالِبَتْ مِنْهُ الضَّيْفَمُ الْأَغْلَبَا
إِنِّى تَعَلَّقْتُ بِجَوْسِيَّةٍ	تَابَى لشمسِ الحُسْنِ أَنْ تَفْرُبَا
أَقْصَى بِلَادِ اللَّهِ فِى حَيْثُ لَا	يُنْفِى إِلَيْهِ ذَاهِبٌ مَذْهَبَا
يَا تَوْدُ يَا وَرَدَ الشَّبَابِ الذِّى	تُطْلِعُ مِنْ أَرْزَارِهَا الْكُوكَبَا
يَابِأَبِى الشَّخْصُ الذِّى لَا أَرَى	أَخْلَى عَلَى قَلْبِي وَلَا أَعْدَبَا
إِنْ قُلْتُ يَوْمًا إِنَّ عَيْنِي رَأَتْ	مُشَبِّهَهُ لَمْ أَعْدُ أَنْ أَكْذَبَا
قَالَتْ: أَرَى (فَوَدَيْهِ) قَدْ تَوَرَّأَ	دُعَابَةً تُوجِبُ أَبَ أَدْعَبَا

قلت لها : ما باله ... إنه قد يُنتجُ المهرُ كذا أُنمها  
 فاستضحكت عجباً بقولي لها وإنما قلتُ لِكى تعجبا  
 قال : ولما فهمها - الترجمان - شعر « غزال » ضحكت، وأمرته بالخصاب ففدا عليها،  
 وقد اختضب وقال :

بَكَرَتْ تُحَسِّنُ لِي سَوَادَ خِضَابِي      فَكَأَنَّ ذَاكَ أَعَادَنِي لِشَبَابِي  
 مَا الشَّيْبُ عِنْدِي وَالْخِضَابُ لَوَاصِفٍ      إِلَّا كَشَمْسٍ جُلَّتْ بِضْبَابِ  
 تَخْفَى قَلِيلًا ثُمَّ يُقْشِعُهَا الصَّبَا      فَيَصِيرُ مَا سَتَرْتُ بِهِ لَذَهَابِ  
 لَا تُنْكِرِي وَضَحَ الشَّيْبِ فَإِنَّمَا      هُوَ زَهْرَةُ الْأَفْهَامِ وَالْأَلْبَابِ  
 فَلَدَيْ مَا تَهْوِينِ مِنْ زَهْوِ الصَّبَا      وَطَلَاوَةِ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ

### غرام أم جنون :

من الشعر الرائق ما امتاز به الشاعر أبو الحسن مروان بن عثمان وقد كان يهيم بوصف  
 محبوبته ، ولم يعين لها اسماً - حتّى لا يشهرّ بها في التشبيب ، ولكيلا يعرفها عند العام ،  
 إلّا لمن لس ودادها من الخاص ، وفي الأبيات التي يناجيها بها معانٍ قد جمع فيها حسن التعبير ،  
 سحرًا حلّالًا . وكان عفيفاً في دقة نظمه ، وصفاء تعبيره ، فقال :

تَمَكَّنَ مِنِّي السَّقَمُ حَتَّى كَأَنَّنِي      تَوْهَمُ مَعْنَى فِي خَفِيٍّ سُؤَالِ  
 وَلَوْ سَاعَتْ عَيْنَاهُ عَيْنِي فِي الْكَرَى      لِأَشْكَلَ مِنْ طُيْفِ الْخِيَالِ خِيَالِ  
 سَمَحْتُ بِرُوحِي وَهِيَ عِنْدِي عَزِيزَةٌ      وَجُدْتُ بِقَلْبِي وَهُوَ عِنْدِي غَالِي  
 وَقَدْ خِفْتُ أَنْ تَقْضَى عَلَيَّ مَنِيَّتِي      وَلَمْ أَقِضْ أَوْطَارِي بِيَوْمٍ وَصَالِ  
 وَهَوْنٌ مَا لَقِيَ مِنَ الْوَجْدِ أَنَّهُ      صَدُودُ دَلَالٍ لِاصْدُودِ مَلَالِ  
 فَلَوْ كَانَ ذَاكَ الصَّدْدُ مِنْهُ مَلَالَةٌ      شَدَدْتُ عَنْ الدُّنْيَا مَطَى رَحَالِ

ثمّ مالبث أن استرسل في مواجيدته ، واستلهم مشاعر أناشيده . فقال :

ما بال قلبك يستمين أبه غرام أم جنون  
 برح الخفاء بما تحن فأذهب الشكّ اليقين  
 حتى متى بين الجوا نح والضلوع هوّى ذفين  
 وإلى متى قلب التّسيم في يد البلوى رهين  
 شخصت له فيك العيون وقسمت فيك الظنون  
 وسلبت الباب الورى بلواظ فيها فتون  
 وقوام أغصان الريا ض وأين تدركك النّصون  
 الحسن في الأغصان فنّ وهو في هذا فنون  
 من أين للأغصان ذا لك الحسن والسّحر المبين ؟  
 أم ذلك الورد الجنى بحدّه والياسمين ؟

\*\*\*

سالموس وسلمسة<sup>(١)</sup> :

قال إبراهيم بن المهديّ : كنت يوماً بحضرة المأمون ، فقالت لي « عريب » على سبيل  
 العبث : ياسلموس . فقلت :

أما لعريب أن ترى غير سلمسة فكوني كما أنت ، تكوني كمؤنسة  
 فقال المأمون على الفور :

فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن هنالكَ شكّ أن ذلك وسوسة  
 قال إبراهيم : فعجبت من فطنة المأمون . وقلت :  
 كذا - والله - يأمر المؤمنين قدّرت ، وإيّاها أردت !

\*\*\*

## عائكة بنت معاوية :

حدثني الكُراني قال : حدثني العمري عن الهيثم بن عديّ - قال : حدثنا صالح ابن حسان - قال : وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرزبان - قال : حدثني محمد ابن عمر - قال : حدثني محمد بن السريّ - قال : حدثنا هشام بن الكلبي عن أبيه يزيد ، واللفظ لصالح بن حسان ، وخبره أتم . قال : حجّت عائكة بنت معاوية بن أبي سفيان - فزلت من مكة بذي طوى ، فبينما هي ذات يوم جالسة وقد اشتدّ الحرّ وانقطع الطريق ، وذلك في وقت الهاجرة ، إذ أمرت جواربها فرفعن السّتر وهي جالسة في مجلسها ، عليها شُفوف لها ، تنظر إلى الطريق ، إذ مرّ بها أبو دُهبل الجمحيّ - وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظرًا . فوقف طويلًا ينظر إليها وإلى جمالها ، وهي غافلة عنه ، فلما فطنت له سترت وجهها ، وأمرت بطرح السّتر . وشتمته ، فقال أبو دُهبل :

إني دعاني الحين فافتادني	حتى رأيتُ الظبيَ بالباب
يا حسنه إذ سبني مُدبرًا	مُسْتَتِرًا عني بجلباب
سبحان من أوقعها حسرةً	صُبّت على القلب بأوصاب
يدود عنها إن تطلبتُها	أب لها ليس يوهّاب
أحلّها قصرًا منيع الذرى	يُحْمى بأبواب وحجاب

وقال أيضًا :

طال ليلى وبت كالْمَحْزُونِ	وملئتُ النَّوَاءَ في جيرون
وأطلتُ المقامَ بالشَّامِ حَتَّى	ظنَّ أهلي مُرْجَمَاتِ الظُّنُونِ
فَبَكَتْ خَشْيَةَ التَّفَرُّقِ جُمْلَ	كِبَاءِ الْقَرِينِ إِثْرَ الْقَرِينِ
وهي زهراء مثلُ لَوْلُوءِ الْفَوَاصِ	مِيزَت من جوهرٍ مكنون
وإذا ما نَسَبَتْهَا لم تَجِدْهَا	في سَنَاءٍ من الكارمِ دون
ثمَّ خَاصَرَتْهَا إِلَى الْقُبَّةِ الْخَضِ	رَاءَ تَمْشِي في مَرْمَرٍ مَسْنُونِ

قُبَّةٌ مِنْ مَرَاجِلٍ ضَرَبُوهَا      عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونٍ  
عَنْ يَسَارِي إِذَا دَخَلْتُ مِنَ الْبَا      بَ وَإِنْ كُنْتُ خَارِجًا عَنْ يَمِينِي  
وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ تَطَاوَلَ سَقْمِي      وَتَقَلَّبْتُ كَيْسَاتِي فِي فُنُونٍ  
كَيْتَ شِعْرِي أَمِنْ هَوًى طَارَ نَوِي      أَمْ بَرَانِي الْبَارِي قَصِيرَ الْجُنُونِ

\*\*\*

### وصيفة مهدوية في مجلس ابن صمادح :

قال ابن بُسَّام<sup>(١)</sup>: كَانَ الْمُعْتَصِمُ بْنُ صَمَادِحَ، يَوْمًا مَعَ نُدَمَائِهِ. فَأَبْرَزَ لَهُمْ وَصِيفَةً مَهْدَوِيَّةً مُتَصَرِّفَةً فِي أَنْوَاعِ اللَّعِبِ الْمَطْرَبِ مِنَ الدَّكِّ . وَحَضَرَ أَيْضًا هُنَاكَ لَاعِبٌ مِصْرِيٌّ سَاحِرٌ، فَكَانَ لَعْبُهُ حَسَنًا، فَارْتَجَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَدَّادِ :

كَذَا فَلْتَلُحْ قَمَرًا زَاهِرًا      وَتَجْنِي الْهَوَى نَاطِرًا نَاصِرًا  
وَسَيْبُكَ سَيْبُ نَدَى مُغْدِقٍ      أَقَامَ لَنَا هَامِيًا هَامِرًا  
وَبَانَ لِيَوْمِكَ ذَا رَوْنَقٍ      مُنِيرًا كَنُورِ الضُّحَى بَاهِرًا  
صَبَاحَ اصْطَبَحْنَا بِإِسْفَارِهِ      لَحْظَنَا عُحْيًا أَلْمَلَا سَافِرًا  
وَأَطْلَعْتَ فِيهِ نَجُومَ الْكُؤُوسِ      فَا زَالَ كَوْكُبُهَا زَاهِرًا  
وَأَسْمَمْتَنَا لَاحِنًا فَاتِنًا      وَأَحْضَرْتَنَا لَاعِبًا سَاحِرًا  
وَنَنَاهُ ثَانٍ لَأَلْمَا بِهِ      دَقَائِقُ تَشْنِي الْحِجَا حَاطِرًا  
وَفِي سَوْرَةِ الرَّاحِ مِنْ سِحْرِهِ      خَوَاطِرُ ، دَلَّهَتْ الْخَاطِرَا  
إِذَا وَرَدَ اللَّحْظُ أَنْهَاءَهَا      فَمَا الْوَهْمُ عَنْ وَرْدِهَا صَادِرًا  
وَمِنْ حَسَنِ دَهْرِكَ إِيدَاعِهِ      فَا انْفَكَّ عَارِضُهَا مَاطِرًا  
وَسَمْعُكَ يَجْتَلِبُ الْمَغْرِبَاتِ      فَيَجْعَلُ غَائِبَهَا حَاضِرًا

\*\*\*



## وصف جارية المنذر إلى أنو شروان :

أهدى المنذرُ الأكبر<sup>(١)</sup> إلى أنوشروانَ ، جاريةً كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شمرَ النَسائيَّ ، وكتب إلى أنوشروانَ يصفها فقال :

إني قد وَجَّهْتُ إلى الملك جاريةً مُعتدلةَ الخلقِ ، نقيَّةَ اللونِ والثَّغرِ ، بيضاءَ قمرَاءَ ، وطفاءَ كحلَاءَ ، دَعَجَاءَ عَيْنَاءَ ، قَنَوَاءَ شَمَاءَ ، بَرَجَاءَ زَجَاءَ ، أُسَيْلَةَ الْخَدِّ ، شَهِيَّةَ الْقَبْلِ ، جَثَلَةَ الشَّعْرِ ، عَظِيمَةَ الْهَامَةِ ، بَمِيدَةَ مَهْوَى الْقُرْطِ ، عَنِيَّاءَ عَرِيضَةَ الصَّدْرِ ، كاعِبَ الثَّدْيِ ، ضَخْمَةَ مِشَاشِ النِّكَبِ وَالْمَضْدِ ، حَسَنَةَ الْمِصَمِّ ، لَطِيفَةَ الْكَفِّ ، سَبْطَةَ الْبَنَانِ ، ضَامِرَةَ الْبَطْنِ ، خَمِيصَةَ الْخِصْرِ ، غَرَّتِي الْوِشَاحِ ، رَدَاحَ الْإِقْبَالِ ، رَابِيَةَ الْكَفْلِ ، لَفَاءَ الْفَخَذَيْنِ ، رَبَاءَ الرِّوَادِفِ ، ضَخْمَةَ الْمَاكَمَتَيْنِ ، مُنْعَمَةَ السَّاقِ ، مُشَبَّعَةَ الْخُلْخَالِ ، لَطِيفَةَ الْكَعْبِ وَالْقَدَمِ ، قُطُوفَ الْمَثَى ، مَكْسَالَ الضُّحَى ، بَصْنَةَ الْمَتَجَرِّدِ . وَهِيَ سَمُوعٌ لِلْسَّيِّدِ ، لَيْسَتْ بِخَنْسَاءَ وَلَا سَفْعَاءَ ، دَقِيقَةُ الْأَنْفِ ، عَزِيزَةُ النَّفْسِ ، لَمْ تُفَدَّ فِي بُوْسٍ ، رَزِينَةٌ حَلِيمَةٌ ، رَكِينَةٌ ، كَرِيمَةٌ الْخَالِ ، تَقْتَصِرُ عَلَى نَسَبِ أَبِيهَا دُونَ فَصِيلَتِهَا ، وَتُسْتَفْنَى بِفَصِيلَتِهَا دُونَ جُمَاعِ قَبِيلِهَا ، قَدْ أَحْكَمْتُهَا الْأُمُورُ فِي الْأَدَبِ ، فَرَأَيْهَا رَأَى أَهْلُ الشَّرَفِ ، وَعَمَلُهَا عَمَلُ أَهْلِ الْحَاجَةِ ، صَنَاعَ الْكَافَيْنِ ، قَطِيعَةَ اللِّسَانِ ، رَهْوَةَ الصَّوْتِ ، سَاكِنَةً ، تَزِينُ الْوَلِيَّ ، وَتَشِينُ الْعَدُوَّ .

إِنْ أُرْدَتْهَا اشْتَهَتْ ، وَإِنْ تَرَكْتُهَا انْتَهَتْ .

## فارس عربيّ جميل :

حكى محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup> قال : كنت مشغولاً بأخبار العرب وأشعارها وأذكر أنها من أغرب الأشعار . وأميل إلى ذكر أيام العرب ، وأحبُّ أن أستمعها وأجمعها ، فنزل علينا في بعض الأيام فتيتان من بني ذمَلْبَةَ ، فذهبتُ إليهم لأسمعَ مِنْ أشعارهم وأجمعَ مِنْ أخبارهم ،

(١) في العزيز المحلى ص ٧٦٢ .

(٢) في الأغاني ج ٢ ص ٢٩ .

فمرت بفناء خيمة ، وإذا غلامٌ ما رأيتُ مثله قَطَّ حُسْنًا وجمالًا . له ذؤابتان كأنهما السَّحْبُ المنظومُ ، تحت ذلك وجهٌ كالقمر ليلة تَمَّة . وعنده امرأةٌ أحسنُ منه وأجلُّ ، وأكثرُ ما أسمع من كلامها ( يا بُنَيَّ ) ، وهو يَبْتَسِمُ لها وقد غلب عليه الحياءُ كأنه كاعبٌ عذراء ، ولا يَرُدُّ لها جوابًا من الاستحياء . فاستَحَسَّنتُ ما رأيتُ منهما ، فدنوت من الحياء ، فبصُرَتِ المرأةُ بي . ثمَّ قالت لي : يا حَضْرِي ، ما حاجتُك ؟ . فقلت : لاجبةٌ لي إلَّا الذي استَحَسَّنتُ مِنْكَ وَمِنْ هذا الغلامِ . فقالت : أتحبُّ أن أُسمِعَكَ شيئًا من خبره ، وهو خيرُ لك من نظره ؟ . فقلت لها : هاتِي لله دَرُّ أَيْبِكَ . فقالت لي : إِنِّي حملته تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، فكنَّا في عَيْشِ ضَنْكِ كَدِيرٍ ، ورزقي نَزَرٍ حَقِيرٍ ، حتَّى إذا شاء الله أن أضعه ، فوضعتُه - بحمد الله خَلْقًا سَوِيًّا ، فلا وأَيْبِكَ ما هُوَ إلَّا أن وضعتُه حتَّى منَّ الله عَلَيْنَا ، وأَجَزَلَ وَسَهْلَ وتَفَضَّلَ ، بِيَعْنِ وَجْهَهُ وسعادة طَلَعَتِهِ . فَسَمَّيْتُهُ ( مَالِكًا ) ثمَّ أرضعته حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ . فلَمَّا استتمَّ الرِّضَاعُ ، نقلته من المَهْدِ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِيهِ ، فَنَشَأَ بَيْنَنَا كَأَنَّهُ سِبْلُ أَسَدٍ ، نَقِيهِ بَرْدَ الشِّتَاءِ وحر الصَّيْفِ . فلَمَّا مرَّ عليه خَمْسَةُ أعوامٍ ، دفعته إلى مُوَدِّبٍ يُدَلِّمُهُ الْقُرْآنَ ، فقرأه وتلاه ، ونظَّمَ الشَّعْرَ ورواه ، حتَّى أَتَمَّ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، فأرَكَبته عِتَاقَ الْخَيْلِ ففترَّسَ ، وَحَمَلَ السَّلَاحَ ففترَّسَ ، ومشى بَيْنَ بُيُوتِ الْحَيِّ ، وأصغى إلى صَوْتِ الصَّارِخِ ، وأنا خائفةٌ عليه وَجِلَّةٌ مُشْفِقَةٌ مِنَ الْأَلْسِنَةِ أن تشينه ، ومن الأُلْحَاطِ أن تعينه ، حتَّى شاء الله أن تُصَيِّبَنَا سِنُونُ أَجْدَبَتْ بِلَادَنَا ، وكاد يَهْلِكُ كِبَارُنَا وأَطْفَالُنَا ، فخرَجْنَا إلى مَنَاهِلٍ غيرِ مَنَاهِلِنَا ، ونَزَلْنَا في غيرِ مَنَازِلِنَا ، فخرَجَ أَصْحَابُنَا لَطَلَبِ ثَأْرِهِمْ ، وَخَلَّفَهُ عَنِ الرُّكُوبِ مَعَهُمْ وَجَعَّ أَصَابُهُ ، فلا وأَيْبِكَ ما عَلِمْنَا حتَّى دَهَمَّتْنَا الْخَيْلُ مِنَ الْعَدُوِّ ، ولم يتولَّنَا عَقْلٌ ، ولا هَدُونَا . فما كَانَ إلَّا هَنِيئَةٌ حتَّى حازوا على الْأَمْوَالِ ، وانهزَمَ الرِّجَالُ ، وهُوَ قِي الْبَيْتِ يَسْأَلُنِي عَنِ الصَّوْتِ ، وأنا أَكَاتِمُهُ خِيفَةً عَلَيْهِ . حتَّى عَلَتْ الْأَصْوَاتُ ، وَبَرَزَتِ الْمَحْبَبَاتُ . فلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ ثَارَ كَمَا يَثُورُ اللَّيْثُ الْمَغْضَبُ ، وأُمرَجَ فَرَسَهُ ، ثمَّ أفرغ عليه لَأْمَةً حَرِيْبَةً ، وتقلَّدَ سَيْفَهُ ، واعتقلَ رُمْحَهُ . ثمَّ لحقَ الْعَدُوَّ ،

فطعنَ أدنى فارس منهم فأرداه قتيلاً ، فرجعوا إليه ، فأروهُ ولدًا لطيفاً ، صبيّاً طريفاً ،  
فمطفؤا عليه . . . وتلقاهمُ ضرباً بالسيف ، وطعنًا بالرُمح ، حتى هلك أكثرهم  
وفرَّ الباقيون !

### غَنِيَّةُ : شَحَّاذُهُ :

لو كان بالصبر الجميل ملاذُهُ	ماسحٌ وابلٌ دمعهُ ورذاذُهُ
مازال جيشُ الحبِّ يغزو قلبَهُ	حتى وهى وتقطعتْ أفلاذُهُ
لم يبقَ فيه من الغرام بقيةٌ	إلا رسيسٌ يحتويه جذاذُهُ
من كان يرغبُ في السلامة فليكنْ	أبدًا من الحدقِ المراضِ عياذُهُ
لا تتحدثنك بالفتور فإنه	نظرٌ يضربُ بقلبك استلذاذُهُ
يا أيُّها الرِّشَاءُ الذي من طرفه	سهمٌ إلى حبِّ القلوبِ نفاذُهُ
دُرٌّ يلوحُ بفيك : مَنْ نَظَّامُهُ ؟	خمرٌ يجولُ عليه : مَنْ نَبَّاذُهُ
وقناةُ ذاك القدِّ : كيف تقومتْ ؟	وسنانُ ذاك اللحظِ : ما فولاذُهُ ؟
رفقاً بجسمك لا يذوبُ فإننى	أخشى بأنَّ يجفو عليه لآذُهُ
هاروتُ يعجزُ من مواقعِ سحرِهِ	وهو الإمام ، فمن ترى أستاذُهُ
تالله ما علقتُ محاسنك امرأً	إلا وعزَّ على الورى استنقاذُهُ
أغريتُ حبَّك بالقلوبِ فأذعنتْ	طوعاً وقد أودى بها استحواذُهُ
مالى أتيتُ اللحظَ من أبوابِهِ	جهدى ، فدامَ تقورُهُ ولوآذُهُ
إياك من طمعِ المنى ، فعزيزُهُ	كذلِّيله ، وغنيُّه : شَحَّاذُهُ

# العيون

لأعذب العين :

قال الشاعر<sup>(١)</sup> ابن الصّفى يصف العيون :

هى التى توقّع القلب فى التعب ، وتوفّر نصيبه من أسهم الهمّ والنّصب ، وترميه بدواهى  
المهوان ودواهى الهوى ، وتسلمه إلى مكايده الغرام ومكايده الجوى ، لوعدّبتُ بطول السّهر  
وكثرة الدّموع وبفيض الشّئون وعدم الهجوع ، وبمسامرة الأحزان والفسكر ، وبمراقبة  
النجوم إلى السّحر ، وبعدم الإغفاء وطول السّهر - لكان استحقاقها وجودَ جود الدمع وإن  
طما ، وعدم منال المنام وإن نما :

لأعذبّ العينَ غيرَ مُفكّرٍ      فيما جرتْ بالدمعِ أو سالتْ دما  
ولأهجرنَّ من الرقادِ لذيدهُ      حتى يعودَ على الجنونِ محرّما  
هى أوقعتنى فى حبالٍ لفتنةٍ      لو لم تكنْ نظرتُ لكنتُ مُسلّما  
سفكتْ دمي فلا سفعنّ دموعها      وهى التى بدأتْ وكانتْ أظلمّا

ولعلّ موجب هذه الواعظة ، والألفاظ التى هى بالتحذير لافظة أتى خرجت فى بعض الأيام  
متفرّجاً وسارحاً ، وجائلاً بطرفى فى الرياض وسائحاً ، وصحبى صديق لى فى المحبة صادق ،  
ورفيق لى فيما أروم موافق ، قد ملك كلّ حسنٍ ولطافة ، وجمع كلّ حدّقٍ وظرافة ،  
ينصبّ لخدمتي لا يعلّ ولا يسأم ، ويتمتع فى مرّضاتي لا يكلّ ولا يندّم ، ويجتهد فى موافقتى  
لا يمنّ ولا ينمّ ، ويحسن مرافقتى لا يندّم ولا يندّم ، قد أخذته جُهينة أخبارى ، وكثراً  
لخزائن أسرارى ، لا أستطيع مفارقة وجهه الجميل ، وهو عندى كما قيل :

بروحى مَنْ لا أستطيعُ فراقه      ومن هو أوفى من أخى وشقيقى  
إذا غاب عني لم أزل متلفّماً      أدورُ بعيني نحو كلّ طريقٍ

\*\*\*

## معاني لفظ العين :

للعلمة أحمد السجاعي - المتوفى سنة ١١٩٧ هـ - قصيدة رائعة في معاني لفظ العين ،  
وهي في فنها غريبة - قد احتوت على معاني في لفظ (عين) . وقد جعل حروف اسمه في أوائل  
أبياتها بالترتيب . وهذه هي القصيدة كما نقلت من خط الشيخ مصطفى البدرى في كراسة  
« مجموعة لنوبة » :

وقد وضعنا<sup>(١)</sup> تفسير كل لفظ عين فيها بين (قوسين) بعده :

أيا ظنّي الفلا وكحيلَ عيني      ويا بدرَ الدجى وضياءِ عيني  
(الشمس)

حُميتَ من المكارهِ ياغزالا      حوى كلَّ السكالِ بدونِ عيني  
(العيب)

ملكْتَ القلبَ منى يا حبيبي      وحقَّ المصطفى الجري لعيني  
(الماء)

دعانا للهداية نعم طه      رسولٌ قد أبانَ لطرقِ عيني  
(حقيقة القبله)

أمينٌ سيّدٌ ما فيه شكٌ      به تُهدى الأنام بكلِّ عيني  
(الناحية)

له ذاتٌ خلتُ من كلِّ سوءٍ      وقلبٌ قد خلا من شينِ عيني  
(الرياء)

سما فوقَ السماءِ ونالَ قُرْباً      وخطبَ ربّه وحظى بعيني  
(النظر)

جميلُ النفسِ والأفعالِ قطعاً      صنيُّ خالصٍ من قُبْحِ عيني  
(الميل)

(١) وضع تفسير كل لفظ عين بين (قوسين) المنقور له العلامة أحمد تيمور باشا وذلك بالمداد الأحمر .

- أَذَاعَ الْخَيْرَ فِينَا كُلَّ وَقْتٍ      وَعَوَّذَ أُمَّةً مِنْ شَرِّ عَيْنٍ  
(إصابة العين)
- عَلَا رَتَبًا فَلَيْسَ لَهَا انْتِهَاءٌ      وَأَظْهَرَ دِينَهُ لَخِيَارِ عَيْنٍ  
(الجماعة)
- يُعِيقُ شَرِيعَةَ غُرَّاءَ فِينَا      بِهَا... كَمْ قَدْ هَدَى مِنْ كُلِّ عَيْنٍ  
(الإنسان)
- رُؤُوفٌ بِالْعِبَادِ رَحِيمٌ قَلْبٍ      عَظِيمُ الْقَدْرِ سَيِّدُ كُلِّ عَيْنٍ  
(الكبير)
- كَرِيمٌ مَتَّقٍ ، بَجْرُ الْعَطَايَا      فَكَمْ مَنَحَ الْأَنَامَ جَزِيلَ عَيْنٍ  
(المال)
- عَظِيمٌ مُجْتَنِّبٍ قَدْ ظَلَمْتُهُ      لَدَى حَرٍّ عَظَائِمُ كُلِّ عَيْنٍ  
(السحاب)
- خَلِيلُ اللَّهِ أَحْمَدُ ذُو كَمَالٍ      مَجِيرُ النَّاسِ مِنْ لَحْظٍ بَعَيْنٍ  
(المطر)
- رَحِيمٌ بِالْعِبَادِ سَرِيعٌ بَأْسٍ      عَلَى قَوْمٍ لَثَامٍ مِثْلَ عَيْنٍ  
(الطائر)
- كَبِيرُ الْقَدْرِ فِي الدَّارَيْنِ حَقًّا      مُغِيثُ النَّاسِ مِنْ حَرٍّ لَعَيْنٍ  
(شعاع الشمس)
- رَسُولُ اللَّهِ أَنْتَ لَنَا مَلَاذٌ      لَنَا فِيكَ الرَّجَا يَنْسَلُ عَيْنٍ  
(الخيار)
- فَكَمْ صَرَفَتْ عَفَا مِنْ كُرُوبٍ      بَدُنِيَا ثُمَّ أُخْرَى عَمَدَ عَيْنٍ  
(الجد واليقين)
- وَخَلَقَكَ مَبْدَأُ الْأَشْيَاءِ حَقًّا      حَبِيبِي أَنْتَ أَوَّلُ كُلِّ عَيْنٍ  
(الشيء)

عليك الله صلى مع سلام أصولك مثل ذا ن هم كعين  
(الذهب)  
وآل ثم أصحاب جميعاً فهم بذلوا لدين كل عين  
(الدنيا أو النفس)  
وكم قضبوا بسيف الله رأساً من الأعداء . وكم قهروا لعين  
(الشديد)  
وكم أحيا بهم ربى علوماً منغية ومنها ذات عين  
(الحضور)  
كذا أتباعهم ما قال عبد : أيا ظي الفلا وكيل عين  
(الباصرة)

### وصف العين وأسماء أجزائها :

في أول كتاب « سحر العيون » : الباب الخامس في وصف العين وأسماء أجزائها  
وعيوبها الخلقية وغيرها . قال المؤلف :

اعلم يا نور الأعيان ، وأعز من إنسان عيون الأجفان ، أن - (مقلة العين) في اللنة هي :  
الشحمة التي تجمع السواد والبياض ، سُميت بذلك من قولهم : مقلت الرجل في الماء :  
إذا غوصته فيه ، وتماقل الرجل في الماء : إذا غاص فيه ، وتماقل الرجلان في الماء : إذا تناوصا  
فيه ليعلم أيهما أصر على النوص ، فلما كانت - حبة العين غائصة في ماها سُميت : المقلة ،  
ويقال : ما مقلت عيني مثل فلان : أى : ما نظرت ، قال الشيخ شهاب الدين أحمد الحاجي :

لها عين لها غزل وغزل مكحلة . ولي عين تبأكت  
وحاكت في فعائلها المواضي فيالك مقلة غزلت وحاكت

و (الحدقة) . هي السواد الأعظم ( في العين ) سُميت بذلك لأن البياض مُحَدَق بها ،

ويقالُ : أَحَدَقَ الْقَوْمُ بِهِ وَحَدَقُوا بِهِ - لَتَنان - أَى : أَطَافُوا بِهِ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهِ .  
وقال الشريف الرضى :

يَا قَلْبُ مَا لَكَ لَا تَفِيقُ وَقَدْ رَأَتْ عَيْنَاكَ كَيْفَ مَصَارِعُ الْمُشَاقِ ؟  
فَتَكْتَبُكَ الْحَدَقُ الْمَرَاضُ وَلَمْ تَزَلْ تُشْجِي الْقُلُوبَ جَنَائِدُ الْأَحْدَاقِ

و ( الناظرُ ) : السَّوَادُ الْأَصْفَرُ الَّذِي يُبْصِرُ فِيهِ الرَّائِي شَخْصَهُ ، وَالْمَرْبُ يَقُولُ : هُوَ مِثَالُهَا ، وَإِنْسَانُهَا ، وَدَوَابُّهَا ، وَنَازِرُهَا ، وَبَصَرُهَا ، وَضِيئُهَا ، وَغَيْرُهَا وَلُغْبَتُهَا ، وَبُؤْيُوتُهَا ، وَتَمَثَالُهَا ، وَسَوَادُهَا ، وَحَبُّهَا ، وَمَذَلِكُهَا .

قال ابن مطرفٍ : وهذه الأسماء كلها لموضع البصر الذى فى حاسة البصر ، والجمع : نَوَاطِرُ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَى الرَّائِي صُورَةَ نَفْسِهِ فِي ذَلِكَ الْمَاءِ لَصَفَائِهِ ، وَيَسْتَدَلُّ عَلَى صِحَّةِ الْحَاسَةِ بِمَا تَحْتَمِلُ فِيهِ .

و ( الناظران ) - أَيْضًا : عِرْقَانِ فِي الْعَيْنِ يَسْقِيَانِ الْأَنْفَ ، يَقَالُ إِنَّهُ لَمُرْتَقِعُ النَّاطِرَيْنِ ، وَيَقَالُ لِلَّذِي اسْتَحْيَى مِنْ أَمْرٍ : خَفَضَ لَهُ نَاطِرِيهِ ، وَالنَّاطِرُ يَجْمَعُ عَلَى : نَوَاطِرُ . قال شارح كتاب الفصيح : نَظَرْتُ لِعَيْنِي وَنَظَرْتُ : انْتَبَهَرْتُ وَتَنَظَّرْتُ .

و ( نظرتُ ) بمعنى : رَحِمْتُ وَتَفَكَّرْتُ . وَأَنْظَرْتُ الرَّجُلَ : أَخَّرْتُهُ ، وَأَنْظَرْتُهُ : جَمَلْتُهُ يَنْتَظِرُنِي ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ( انظرونا ) أَى : أَمْهَلُونَا : قال الشيخ برهان الدين القيراطى :

يَا قَاتِلِي بِنَوَاطِرِ أَجْفَانِهَا بِسُيُوفِهَا الْأَمْثَالُ فِينَا تُضْرَبُ  
قُلُوبُ لِلْفَزَالِ أَوْ الْغَزَالَةِ إِذْ رَنَتْ أَوْ لَاحَ يَهْرَبُ ذَا ، وَتِلْكَ تَغَيَّبُ

و ( الحمايقُ ) : هِيَ بَوَاطِنُ الْأَجْفَانِ ، وَاحِدُهَا حِمْلَاقٌ - قال ابن مطرفٍ : هِيَ الَّتِي تَرَاهَا - إِذَا قَلِبْتَ لِلْكُحْلِ - حِمْرَةً . وقال الزَّيْدِيُّ : الْحَمَالِيقُ : نَوَاحِي الْعَيْنِ ، وَيَقَالُ لِمُؤَخَّرِ الْعَيْنَيْنِ مِمَّا يَلِي الصَّدْعَيْنِ : الْحَمِيَانِ ، الْوَاحِدُ حَقِيمٌ . وَالْأَشْفَارُ هِيَ حُرُوفُ الْأَجْفَانِ الَّتِي يَنْبُتُ عَلَيْهَا الشَّعْرُ ، وَالوَاحِدُ : شَفْرٌ ، وَمِنْهُ شَفِيرُ الْوَادِي ، وَشَفِيرُ كُلِّ شَيْءٍ حَرْفُهُ .

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة :

إِذَا كَانَ شَفْرُ الْعَيْنِ فَوْقَ مَحَلِّهَا فَعِنْدِي أَنَا الْأَشْفَارُ خَيْرٌ مِنَ الْعَيْنِ



و (الأهدابُ) : الشَّعْرُ النَّابِتُ عليها ، وَاحِدُهَا : هُدْبٌ - بضمّ الهاء وسكون الدال المهملة ، قال الشيخ برهان الدين :

أهدابٌ لَحْظُكَ لِلوَرَى شَرَكٌ فَنَنْ أَوْثَقَتْهُ فَيَهِنٌ لَا يَتَفَلَّتُ  
كَيْفَ النِّجَاةُ وَرُمَحٌ قَدَّكَ مُشَرَّعٌ؟ كَيْفَ الْخِلَاصُ وَسَيْفٌ لَحْظُكَ مُصَلَّتٌ؟  
(المحجّرُ) : مَادَارٌ بِالْمَيْنِ ، وَهُوَ مَا يَبْدُو مِنَ الْبَرْقِعِ وَالنَّقَابِ ، وَجَمْعُهَا حَاجِرٌ ، وَيُقَالُ :  
مَحْجَرٌ - بفتح الميم وكسرهما ، وَفَتْحَ الْجِيمِ وَكسرها أَيضاً ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْحَجَرُ مَحْجَرًا لِأَنَّهُ  
مَفْعَلٌ مِنَ الْحَجَرِ وَهُوَ الْمَنَعُ ، فَكَأَنَّهُ مَانِعٌ عَنِ الْعَيْنِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا ، وَمِنْهُ الْحَجَرَةُ  
الْمَحِيطَةُ بِالْجُدُرِ ، وَالْجَمْعُ : الْحُجُرَاتُ .

قال الأمير سيف الدين المشدّ وأجاد :

إِنَّ الْعِيُونَ لَكَ الْحَصُونَ : قَهْدُهَا شُرُفَاتُهَا ، وَجُفُونُهَا الْأَسْوَادُ  
وَكَذَا مَحَاجِرُهَا : الْخَنَادِقُ حَوْكُهَا وَالْحَافِظُونَ بِهَا هُمُ الْأَنْوَارُ

و (المائق) و (الموق) : هُوَ طَرَفُ الْعَيْنِ مِمَّا يَلِي الْأَنْفَ ، وَهُوَ خَرَجُ الدَّمْعِ مِنَ الْعَيْنِ ،  
وَلِكُلِّ عَيْنٍ مُوقَانٌ ، وَفِي الْمَوْقِ فِي جَمْعِهِ لُغَاتٌ كَثِيرَةٌ يُقَالُ : مَاقٌ - بِالْهَمْزِ ، وَجَمْعُهُ آمَاقٌ ،  
وَمَوْقٌ - غَيْرُ مَهْمُوزٍ ، وَجَمْعُهُ أَمْوَاقٌ وَأَمَاقٍ وَمَاقٍ . وَالْمَقِيَّةُ - لُغَةٌ فِي الْمَاقِ أَيْضاً ، وَالْجَمْعُ  
مُقَى . وَالْمَاقُ : مُقَدِّمُهَا . وَقِيلَ : الْمَوْقُ مُؤَخَّرُ الْعَيْنِ ، وَمَاقٌ يُجْمَعُ عَلَى مَوَاقٍ مِثْلُ قَاضٍ  
وَقَوَاضٍ . وَفِي الْحَدِيثِ : « كَانَ يَكْتَحِلُ مِنْ قَبْلِ مَوْقِهِ مَرَّةً وَمِنْ قَبْلِ مَاقِهِ أُخْرَى » .  
قال المتنبي يمدحُ كافور الأَخْشِيدِيَّ :

قَوَاصِدُ كَافُورٍ تَوَارِكُ غَيْرِهِ وَمَنْ وَرَدَ الْبَحْرَ اسْتَقْلَّ السَّوَاوِيَا  
جَفَاءَتْ بِهِ إِنْسَانٌ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بِيَاضاً خَلْفَهَا وَ (أَمَاقِيَا)

و (الألحاظُ) : جَمْعُ لَحْظٍ ، وَهُوَ مُؤَخَّرُ الْعَيْنِ الَّذِي يَلِي الصَّدْغَ وَجَمْعُهَا لِحَاطٌ ، وَلَوْاحِظٌ .  
فَأَمَّا اللَّحْظَةُ فَهِيَ النَّظَرَةُ وَجَمْعُهَا : لِحَظَاتٌ فِي الْقَلِيلِ ، وَاللِحَظُ فِي الْكَثِيرِ ، وَيَجُوزُ أَنْ  
يَجْمَلَ مَوْضِعَ اللَّحْظَةِ . يُقَالُ : لِحَظَ الْعَيْنَ - مِثْلَ رَأَى الْعَيْنَ وَيُقَالُ : لِحَظَ السَّمَاءَ بِطَرَفِهِ يَلْحَظُ  
لِحَظًا فَهُوَ لَاحِظٌ .

قال شيخ الشيوخ الأنصارى بحماسة :

يا نظرةً قد جَلَتْ لى حُسْنِ طَلْعَتِهِ      حَتَّى انْقَضَتْ وَأَدَامَتْنَا عَلَى وَجَلٍ  
عَاتَبْتُ إِنْسَانَ عَيْنِي فِي تَسْرُعِهِ      فَقَالَ لى : خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ  
(والطرف) : هو مآل بأحد السَّوَادَيْنِ : السَّوَادِ الْأَعْظَمُ ، وَالسَّوَادِ الْأَصْغَرُ . قال ابن مُطَرَف :  
« طَرَفُ الْعَيْنِ تَحْرُكُ أَشْفَارِهَا » ويقال : طَرَفَةُ عَيْنٍ ، وَالْعَيْنُ الْمَطْرُوفَةُ مِنْهُ مَأْخُودٌ ، وَهُوَ  
أَنْ يُصِيبَ سَوَادُهَا شَيْءٌ فَيَتَأَذَى صَاحِبُهَا بِهِ ، وَرَبَّمَا أَبْطَلَهَا . وَهِيَ « الطَّرَفَةُ » قال الشيخ  
علاء الدين الوداعى :

كَمْ دِمَاءٌ مَطْلُولَةٌ فِي هَوَاهُ      وَبِهَا وَرَدُ خَدَّهِ مَطْلُولُ  
وَحَدِيثٍ مِنَ السَّقَامِ صَحِيحٍ      قَدْ رَوَاهُ عَنْ طَرَفِهِ مَكْحُولُ  
و ( الْقَبْلُ ) هُوَ مَيْلُ الْحَدَقَةِ فِي النَّظَرِ إِلَى الْأَنْفِ . وَأَنشَدَ الثَّمَالِيُّ وَقَدْ اسْتَحْسَنَهُ  
فِي « فَنَهِ اللَّغَةِ » لَهُ - قَوْلَ ذِي الرِّمَّةِ :

أَشْتَهَى فِي الطِّفْلَةِ الْقَبْلَا      لَا كَثِيرًا يَشْبُهُ الْحَوَلَا  
وقال جرير :

وَمَا زَالَتِ الْقَتْلَى تَمِجُّ دِمَاءَهَا      بِدِجْلَةٍ حَتَّى مَاءِ دِجْلَةٍ ( أَشْكَلُ )  
وقول علاء الدين البديوى :

أَنَا جَدُّ أَنْصَارِ النَّبِيِّ لِأَنَّنِي      يَا أَرْقَ الْعَيْنَيْنِ عَبْدُ ( الْأَشْهَلِ )  
وَأَنشَدَنِي الْمَوْلَى أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ الرَّسَّامُ الْأَزْهَرِيُّ :

رَنْتَ رَمْتَ فَأَصَابَتْ قَلْبِي ، وَأَذَكْتَ لَهْيِي  
فَهُوَ الْمَصَابُ بَعَيْنٍ ( شَهْلَاءُ ) وَهِيَ الْمُصِيبَةُ

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وَأَغْيَدُ كُلَّ شَيْءٍ فِيهِ يَمِجُّنِي      كَأَنَّمَا هُوَ مَخْلُوقٌ عَلَى شَرْطِي  
أَجْفَانُهُ السُّودُ مَا تُخْطِئِي إِذَا رَشَقَتْ      سَهَامَهَا ، وَسَهَامُ اللَّيْلِ مَا تُخْطِئِي

وقال علاء الدين الوداعى :

رمتنى سودُ عينيهِ فَاَصْمَتَنِى ، ولم تُبْطِى  
وما فى ذاك من بدعٍ سِهامُ الليل ما تُخْطِى

وقال شهاب الدين الزعفرينى :

ملكٌ على العشاق ، سكرانُ طَرَفُهُ  
شكوتُ إليه أَمَرَ قلبى فى الهوى  
فلا عَجَبٌ لِلْحَظِّ مِنْهُ يُمرِّدُ  
فوقَعَ لى : سِحْرُ الجفون يُخلِّدُ

وقال بشار بن برد :

يا من برايق ريقه يحبى الورى  
من سِحْرِ عَيْنِكَ المِهاة تَعْلَمَتُ  
وبسحر عينيهِ النَّواعس تُقْبَلُ  
وكذلك الفزلانُ منها تَغْزَلُ

وقال ابن عباد :

ونَظَرُنْ من خَلَلِ السُّتُورِ بِأَعْيُنِ  
وله أَيْضاً :  
مَرَضَى يُحَالِطُهَا السَّقَامُ صِاحِ  
وسنانُ قد خدَع النَّعَّاسُ جُفُونَهُ

مذ غَضَّ طرفاً بالحِياءِ فَإَنَّنِى  
منه استحييتُ بأنْ أَقبَلْ مؤنسى

وقال الفرزى :

كأَنَّمَا سَوَادُ عَيْنِ مُنَيَّتِى  
لا تُنْكِرُوا مَقَالَتِى تَجَاهِلًا  
كَمَنْبَرٍ يا أَنْفُسَا لَوَّامَةٌ  
مع عِلْمِكُمْ بِأَنَّهَا لَوَّامَةٌ

وقال الشهاب بن القطان :

شاقنى ( مارسُ ) فُولٍ زَهْرُهُ حَاكِى عُيُونِكَ  
وابتغى التَّعْرِيضَ ، قُلْنَا : لَمَنْ اللهُ قَرُونِكَ

## آفة النظر وغائلته :

وكنت إذا أرسلت طرفك زائراً  
رأيت الذى لا كله أنت قادر  
ولأبى العباس الصينى :

قم فاسقنى بين خفق الناي والعود  
كأساً إذا أبصرت فى القوم محتشماً  
نجن الشهود وخفق العود خاطبنا  
وله أيضاً :

يقرّ الله عينك يا جفونى  
ويا عيني لك البشرى فنامى  
رغبت عن الهوى وهربت منه  
وله أيضاً :

سقتنى لثروى الراح روحاً وحققت  
على زجس حيت به فكأثها  
وله أيضاً :

إذا ضاق صدرى وخفت المدا  
فبالله نبلغ ما زتجى  
وله أيضاً :

ينيب البدر يوماً ثم يبدو  
إذا لم تطلع الإثنين عصراً  
وله أيضاً :

واند مررت على الأطباء وصادنى  
تذنت لوحظه إلى بأسهم  
ظي وعهدى بالطباء تصاد  
أغراضها الأرواح والأجساد

وله أيضا :

صبّ المداد وما تعمّد صبه      فتورّد الخد البديع الأزهر  
يا من يؤثر حبره في ثوبنا      تأثير لحظك في فؤادى أكثر

وله أيضا :

من شاء عيشاً رخيئاً يستفيد به      في دينه ثمّ في دنياه إقبالا  
فلينظرن إلى ما فوقه أدباً      ولينظرن إلى من دونه مالا

وله أيضا :

أدرك بقيّة نفس روحها رفق      وقد أذابت هموم النفس أكثرها  
وإنما سلت منها بقيّتها      لأنها خفيت ضعفاً فلم ترها

وله أيضا :

ألا حلّ بي عجب عجب      تقاصر وصفى عن كنهه  
رأيت الهلال على وجه من      رأيت الهلال على وجهه

وقال آخر في شوق إلى حبيب :

إن غبت عن ناظرى فأنتم      في القلب يا غاية التمنى  
والظنّ أن لا تخون عهدى      لا خيب الله فيك ظنّى

## تعدد الزوجات والأزواج

هند وأبو سفيان<sup>(١)</sup> :

كان مسافر بن عمرو بن أمية ، يهوى هنداً بنت عُتْبَةَ بن ربيعة ، وله فيها شعريّني به .  
فلما فارقت زوجها الفاكه بن المغيرة ، خطبها إلى أبيها ، فلم ترض ثروته وماله ، فوفد  
على « النعمان » يستعينه على أمره ، ثم عاد فكان أول من لقيه أبو سفيان ، وعلم منه  
أنّه تزوّج هنداً .

وكان مسافر من أحسن فتيان قريش جمالاً وشعراً وسخاء ، وقد عشق هنداً وعشقتة ،  
فاتّهم بها . وقال بعض الرواة : إنّها حملت منه ، فلما بان حملها أو كاد ، قالت له : اخرج .  
نفرج حتى أتى الحيرة ، وأقام عند عمرو بن هند ينادمه ، ثم أقبل أبو سفيان بن حرب  
إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها ولقيه مسافر ، فسأله عن قريش ، فكان مما قال له أنّه تزوّج  
من هند بنت عتبة . فدخله من ذلك ما اعتلّ معه ، حتى استسقى بطنه .

وروى معروف بن خربوذ أن مسافراً قال في ذلك :

ألا إن هنداً أصبحت منك محرّماً      وأصبحت من أدنى حموتها حِمَى  
وأصبحت كالمقور جفن سلاحه      يقلّب بالكفّين قوساً وأسهماً

\*\*\*

حكمة التعدّد في الإسلام<sup>(٢)</sup> :

إنّه لمعلوم أن جميع كلام النبوة شرح للقرآن . قال تعالى : « وأنزلنا إليك الذّكر لتبين  
للنّاس ما نزل إليهم » وإذا تتبّعنا القرآن العظيم لم نجدّه يذكر المؤمنين إلّا ومعهم المؤمنات ،

(٢) في كتاب علم الدين ج ١ لصاحبه على مبارك باشا .

(١) الأغاني ج ٨ .

ولا المسلمين إِلَّا ومعهم المسلمات ، ولا الصَّائِغِينَ إِلَّا ومعهم الصَّائِغَات . قال تعالى : « وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا » وقال تعالى : « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » . وقال تعالى : « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِغِينَ وَالصَّائِغَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » هو الجنة وما فيها . وهكذا في غير ما آية .

ومن اطلع على موضع ذلك من المصحف الشريف ، فسيقف بنفسه على ما ذكر . فالكتاب والسنة والإجماع على أن للنساء ما للرجال من الثواب ، وعليهن ما عليهم من العقاب ، لافرق بين حرٍّ ورقيق ، ومولى وعتيق .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَيُّمَا امْرَأَةٍ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا فَحَفِظَتْ غَيْبَتَهُ فِي نَفْسِهَا ، وَطَرَحَتْ زِينَتَهَا ، وَقَيَّدَتْ رِجْلَهَا ، وَأَقَامَتِ الصَّلَاةَ ؛ فَإِنَّهَا تُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذْرَاءَ طِفْلةٍ ، فَإِنْ كَانَ زَوْجُهَا مُؤْمِنًا فَهُوَ زَوْجُهَا فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ زَوْجُهَا مُؤْمِنًا زَوَّجَهَا اللَّهُ مِنَ الشَّهَدَاءِ » . فكيف يتوهم ممن اتصف بالعدل فضلا عن اتصافه بالفضل ، أن يضيّع عمل عامل ، أو يحرم الراجي فضله الشامل ؟

وهنا تعرض مستشرق إنكليزي في سياق حديث رواه المؤلف وقال : لو علمت نساء أوروبا بقولك لأحبين دين الإسلام ، لكن ربما يمنعن شئ آخر أشقّ عليهن من كل شئ ، وأضر . . هو اتخاذ الرجل منكم عددًا من الزوجات .

وردّ على المستشرق بأنه لا دخل لعدد الزوجية ولا لدين النصرانية في إحياء العلوم الأدبية ولا تقدم الفنون والصنائع الدنيوية ، ولو كان الأمر كذلك لما احتاج الأوروبيون إلى اليونان ومن بعدهم من العرب في الوصول إلى ما وصلوا إليه ، فالعرب للأوروبيين في كل ما علموه ملاذ ، واحتياجهم إليهم كاحتياج التعلم إلى الأستاذ .

وأما ما كان من أمر تعدّد الزوجات فليس هذا خاصاً بالمسلمين؛ بل هو عام لهم ولغيرهم، ولم يمنعه إلا طائفة النصارى فقط، حتى إن من قبلهم كانوا يجوزون التعدّد أيضاً، فقد رأيت في بعض كتب التواريخ، نقلاً عن دانيال القسيس، أن ملوك فرنسا الأولين كانوا متزوجين بزوجات متعدّدات، مع أنهم كانوا متدينين بدين النصرانية. ومن ثمّ كان لكلّ من غنطران وشريير وداغوبير الأول ثلاث زوجات، ولعمّ داغوبير، وهو فلودمير أربع زوجات في آنٍ واحدٍ.

وفي سنة سبعمائة وست وعشرين من الميلاد، كتب البابا غريغور الثالث إلى الواعظ بدسقاس، حين أرسل إليه يسأله عن جواز التزوّج بامرأة ثانية: «إذا أصيبت المرأة الأولى بداء يمنّوها عن القيام بحقوق الزّوج، جاز له أن أن يتزوّج بامرأة أخرى، وعليه للمصابة مؤنّها الضرورية».

ولعلّ الحكمة في إباحة تعدّد الزوجات عند المسلمين، وعند كلّ من كان على رأيهم، أن التدبير الإلهي لمّا ميز الرّجل بقوة البنية، وطول زمن التّناسل بالنسبة للمرأة، وسلامته من الأعداء المعتادة للنساء في أوقات معينة، كالحيض والنفاس، راعى الشرع جانبه لذلك.

وأما حكمة الأفراد التي عوّل عليها النصارى، واستندوا إليها في الحكم فلا يمكن الجزم بطّرادها في كلّ طبيعة، ولا بأنّها تقطع ما يخشونه من المفساد. فقد أتى زمن يمنع فيه كثير من الأمور الفظيعة التي لا وجود لها في بلادنا، كقتل الأطفال، وإسقاط الأجنة ونحو ذلك.

فقال المستشرق الإنكليزي: هذا كلام معقول، لكن نظرت في المصحف مرّة، فرأيت في السورة الثالثة مظاهره الأمر بضرب النساء، مع أنه يُخلّ بشرف الإنسانية.

فكان الجواب أن هذا لا يوجد إلا إذا علم الزّوج منها خلاف ما كان يمهّد، على أنّه ليس له ذلك من أوّل الأمر، بل يستعمل معها النصيحة، فإن أبت فله أن يؤدّبها بالهجر، فإن لم يُجدِ الهجر ضربها، بشرط ألا يضربها، وألا يخرج على حُسن العشرة المأمور به



في القرآن ، الذي جعل التشديد عليهنّ مذموماً ، وصيّ من عاقبن على كل ما فرط منهنّ ملوماً ، كقوله تعالى : « الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ » .  
وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « احمِلوا النساء على أخلاقهنّ » وقول عمر بن الخطّاب رضي الله عنه : ينبغي للرجل أن يكون في بيته كالصبيّ ، فإذا طُلِبَ ما عنده وُجِدَ رَجُلًا » .

وقال بعض الصحابة للنبيّ صلى الله عليه وسلم : « ما حقّ زوجة أحدنا عليه ؟ » قال : أن تُطْعِمَهَا إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تُقَبِّح ، ولا تهجر ، إلّا في البيت » . ومعنى لا تُقَبِّح : لا تسمعها المكروه ولا تستمها أو لا تقل لها : قَبَّحَكَ اللهُ ونحو ذلك .

وفي القرآن الكريم عدا ذلك كثيرٌ مما يعظم أمر النساء ويوجب رعايتهنّ والمبادرة إلى القيام بحقوقهنّ . وهل حرّية النساء إلّا أن يعلننّ حقوقهنّ على أزواجهنّ ، حسبما تقتضيه المروءة ، وصيانة النساء عن الدخول فيما ليس لهنّ من خصائص الرجال .  
وليس فيما يقبل العقلُ المنزّه عن المعصية أن تكون حرية النساء عبارة عن تخليتهنّ وما اشتھين ، مع ما يشاهد في الأكثر من غلبة شهواتهنّ وأهوائهنّ على عقولهنّ .

### المرأة التي تزوج عليها زوجها :

في « سبعة الرّجاء »<sup>(١)</sup> أشعار عن غيرة المرأة التي يتزوج عليها زوجها ، منها قول ابن المعتز :

خبروها بأنني قد تزوّج	ت فظلت تكاتم النيط سراً
ثم قالت لأختها ، ولأخرى	جزعاً : ليتني تزوّجَ عشرّاً
وأشارت إلى نساء لديّها	لا ترى دونهنّ للسرّ سترّاً
مالقبي كأنه ليس منّي	وعظاي أخال فيهنّ فترّاً

## عدم زواج الرجل بمن يهواها :

معلوم أن العرب<sup>(١)</sup> كانوا لا يزوجون الرجل بمن يهواها ، وكان يتحاشى السلام عليها لئلا يعرف بها .

قال أبو دياش : كان الرجل إذا عُرِفَ بِحَبِِّ امْرَأَةٍ لم يزوّجوه إياها . وكان إذا سلّم عليها عُرِفَ أنه يهواها ، وقد يسلم عليها وإن كان في السلام يأْس منها وهذا من إفراط شوقه وغلبة هواه .

## رؤية الرجل المرأة عند تزوّجها<sup>(٢)</sup> :

قال الأصمعي : الحُسْنُ في العَيْنين ، والجمال في الأنف ، والملاحة في الفم .  
وقالت امرأة خالد بن صفوان له : إِنَّكَ لجميل يا أبا صفْوَان . فقال : كيف وليس عندي رداء الجمال ، ولا برُئْسُه ولا عموده . إنَّ رداءه البياض وأنا آدم ، وعموده الطول وأنا رُبْعَةٌ ، وبرُئْسُه سواد الشعر وأنا أَشْمَط . ولكن قولي : إِنَّكَ مليح ظريف .

وروى أن النبيّ - عليه الصلاة والسلام - خطب امرأة ، فأرسل عائشة - رضى الله عنها - لتنظر إليها ، فلما رجعت إليه قالت : ما رأيت طائلاً . فقال : بلى ، لقد رأيت خالاً في خدّها اقشعرت منه كلّ شعرة في جسدك .

وقالت عائشة - رضى الله عنها - تصف شعورها حينما رأت جويرية بنت الضحّاك لأوّل مرة : والله ما هو إلّا أن رأيتها على باب حجرتي ، فكهرتها . وفي ذلك ما يدلّ على ما كان عليه أزواج النبيّ - صلى الله عليه وسلم - من النيرة عليه ، والعلم بموقع الجمال عنده . أما نظره - عليه الصلاة والسلام - إلى جويرية حتّى عرف من حسنّها ما عرف ، فذلك لأنّها كانت مملوكة ، لو كانت حرّة ما ملأ عينيه منها ، لأنه لا يكره النظر إلى الإماء . وجاز أن يكون نظره إليها لأنّه نوى تزوّجها .

(٢) في الروض الأنف .

(١) التبزيلى على الحماسة ج ١ .

وَرَوَى أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .  
فَصَعَّدَ فِيهَا النَّظَرَ ثُمَّ صَوَّبَ ثُمَّ أَنْكَحَهَا مِنْ غَيْرِهِ .

وَتَبَّتْ عَنْهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - الرَّخْصَةُ فِي النَّظَرِ إِلَى الْمَرْأَةِ عِنْدَ إِرَادَةِ نِكَاحِهَا .  
وَقَالَ لِلْمَغِيرَةِ حِينَ شَاوَرَهُ فِي نِكَاحِ امْرَأَةٍ : « لَوْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا فَإِنَّ ذَلِكَ أَحْرَى أَنْ يُؤَدَّمَ  
بَيْنَكُمَا » . وَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ لِمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمَةَ حِينَ أَرَادَ نِكَاحَ بَيْتِنَةَ بِنْتِ الضَّحَّاكِ .

وَقَدْ أَجَازَهُ مَالِكٌ فِي إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ . ذَكَرَهَا ابْنُ أَبِي زَيْدٍ .

وَفِي مُسْنَدِ الْبَزَّازِ : « لَا حَرَجَ أَنْ يَنْظُرَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَرْأَةِ إِذَا أَرَادَ تَزْوُجَهَا وَهِيَ  
لَا تَشْعُرُ » .

وَفِي تَرَاجُمِ الْبُخَارِيِّ فِي بَابِ النَّظَرِ إِلَى الْمَرْأَةِ قَبْلَ التَّزْوِيجِ أَنَّ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ - قَالَ لِعَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَرَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ يَجِيءُ بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ  
حَرِيرٍ ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِكَ ، فَقَالَ لِي : هَذِهِ امْرَأَتُكَ . فَقُلْتُ : إِنْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ  
يُخْبِئُهُ ، وَهَذَا اسْتِدْلَالٌ حَسَنٌ . وَفِي قَوْلِهِ : إِنْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سَوَالٌ - لِأَنَّهُ رَوَاهُ وَحْيٌ ،  
فَكَيْفَ يَشْكُ فِي أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . وَالْجَوَابُ : أَنَّهُ لَمْ يَشْكُ فِي صِحَّةِ الرُّوْيَا ، وَلَكِنْ  
الرُّوْيَا قَدْ تَكُونُ عَلَى ظَاهِرِهَا ، وَقَدْ تَكُونُ لِمَنْ هُوَ نَظِيرُ الْمَرْءِ أَوْ سَمِيٍّ مِنْهَا هَذَا تَطَرَّقَ الشُّكُّ  
مَا بَيْنَ أَنْ تَكُونَ عَلَى ظَاهِرِهَا ، أَوْ لَهَا تَأْوِيلٌ .

وَسَمِعْتُ شَيْخَنَا يَقُولُ فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ : لَا يَخْلُو نَظَرُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَيْهَا  
مِنْ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ ، أَوْ يَكُونُ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ . وَإِلَّا فَقَدْ قَالَ تَعَالَى :  
« قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ » .

وَالنَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هُوَ بَغِيرُ شَكٍّ إِمَامُ الْمُتَّقِينَ وَقُدُوةُ الْوَرَعِينَ . وَجَوِيرِيَّةُ  
هِيَ بِنْتُ الضَّحَّاكِ بْنِ أَبِي ضَرَّارٍ بْنِ حَبِيبٍ بْنِ عَائِذٍ . وَتُوفِّيَتْ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتٍّ  
وخمسين أو خمس وخمسين من الهجرة .

## رايات من خمر النساء<sup>(١)</sup>:

وَجَّهَ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه - عُتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ وَالِيًا عَلَى الْبَصْرَةِ ، وقال له : يا عتبة ، إني قد استعملتك على أرض الهند ، وهى حَوْمَةٌ من حَوْمَاتِ الْعَدُوِّ ، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ، ويُعينك عليها . فإذا قَدِمَ عَلَيْكَ الْعَدُوُّ ، فاستشره ، وادعُ إلى الله ، فن أجابك فأقبل منه ، ومن أبى فالجزية ، وإلا فالسيف ، واتقِ الله فيما وليت ، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كِبَرٍ مِمَّا يُفْسِدُ عَلَيْكَ إِمْرَتَكَ ، وقد صحبت رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - فَعَزَّزْتُ بِهِ بَعْدَ الدَّلَّةِ ، وَقُوِّيتَ بِهِ بَعْدَ الضَّعْفِ ، حتى صرتَ أميرًا مُسَلِّطًا ، وَمَلِكًا مُطَاعًا ، تقولُ فَيَسْمَعُ مِنْكَ ، وتأمرُ فيطاعُ أمرُكَ ، فيألفها من نعمة ؛ فاحتفظ من النعمة احتفاظك من العصية ، وَلَهِيَ أَخَوْفُهَا عِنْدِي عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَدْرِجَكَ وَتَخْدَعَكَ فَتَسْقُطَ سَقَطَةً تَصِيرُ بِهَا إِلَى جَهَنَّمَ ، أُعِيدُكَ بِاللَّهِ وَنَفْسِي مِنْ ذَلِكَ . إِنَّ النَّاسَ أَسْرَعُوا إِلَى اللَّهِ حَتَّى رُفِعَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا فَأَرَادُوهَا ، فَأَرَادَ اللَّهُ وَلَا تُرِدِ الدُّنْيَا . وَاتَّقِ مِصَارِعَ الظَّالِمِينَ . انطلق أنت ومن معك حتَّى إذا كنتم فى أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم ، فأقيموا . فسار عُتْبَةُ وَمِنْ مَعِهِ ، وَأَقَامَ بِالْبَصْرَةِ ، ثُمَّ سَارَ عَتْبَةُ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى أَنْ لَقِيَهُمْ جَيْشٌ عَظِيمٌ مِنَ الْفُرسِ ، فَاقْتَتَلَ الْفَرِيقَانِ .

وقال نساء المسلمين : لو لحقنا بهم فسكننا معهم ، فَاتَّخَذْنَ مِنْ خُرُوجِنَّ رَايَاتَ ، وسرن إلى المسلمين ؛ فلما رأى المشركون الرايات ، ظَنُّوا أَنَّ مَدَدًا لِلْمُسْلِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ ، فانهزموا ، وظفر بهم المسلمون !

(١) فى « الكامل » لابن الأثير .

## كشف وجه المرأة في الإحرام :

قالت عائشة - رضى الله عنها<sup>(١)</sup> : لو علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أحدث النساء ، لمنهن من المساجد .

وسئل عقيل - عن كشف المرأة وجهها في الإحرام ، مع كثرة الفساد في زمانه أهو أولى أم التنظية مع الفداء ؟ فأجاب : بأن الكشف شعار إحرامها ، ولا يجوز رفع حكم ثبت شرعاً لحوادث البدع .

وأما قول عائشة - رضى الله عنها - فإنها ردت الأمر إلى صاحبه فقالت : لو علم لمنع ، ولم تمنع هي .

وقد ندب الشرع إلى النظر إلى المرأة قبل النكاح ، وأجاز للشهود النظر . فليس يبدع أن يأمرها بالكشف ، ويأمر الرجال بالنض ليعظم لأعظم للابتلاء .

وإنما جاء النص بالنهي عن النقاب خاصة ، كما جاء النهي عن القفازين ، وعن لبس القميص والسراويل . ومعلوم أن نهيه عن لبس هذه الأشياء لم يرد أنها مكشوفة لا تستر البتة ، بل قد أجمع الناس على أن - المحرمة تستر بدنها بقميصها ودرعها ، وأن الرجل يستتر بدنه بالرداء وأسافله بالإزار .

ومن قال : إن وجه المحرمة كإحرام كإحرام كإحرام كإحرام ، فليس معه بذلك نص . وقول من قال من السلف : إحرام المرأة في وجهها إنما أراد به أنه لا يلزمها اجتناب الناس كما يلزم الرجل ، بل يلزمها اجتناب النقاب ، فيكون وجهها كبطن الرجل .

وقد قالت عائشة - رضى الله عنها : كنا إذا مر بنا الرُّكبان سَدَّكَتْ إحداً جَلْبَابَهَا عَلَى وَجْهِهَا . ولم تكن إحداهن تتخذ عوداً تجعله بين وجهها وبين الجلباب كما قال بعض الفقهاء ، ولا يعرف هذا من امرأة من نساء الصحابة ، ولا أمهات المؤمنين ألبتة ، لا عملاً ولا فتوى . ويستحيل أن يكون هذا من شعار الإحرام ، ولا يكون ظاهراً مشهوراً يعرفه الخاص والعام .

(١) في بدائع الفوائد .

ومن آثر الإنصاف وسلك سبيل العلم والعدل تبين لمراجع المذاهب من مرّجوحها ، وفاسدها من صحيحها ، والله الموفق الهادي .

### المرأة لعبة زوجها<sup>(١)</sup> :

البيضة المكنونة<sup>(٢)</sup> بيضة النعام ، ويشبّه بها النساء لبياضها ، والصفرة التي تضرب فيها .  
قال ذو الرمة :

« كَأَنَّهَا فَضَةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ » . . . . .

والمكنونة : المصونة ، والنعام تخفيها بريش ، ولا تُبدى للشمس والريّح لئلا تتغير .  
وقال الله تعالى : « كَأَنَّ هُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ » .

وعن عليّ بن أبي طالب - رضى الله عنه - عن النبيّ صلى الله عليه وسلم - أنه قال :  
« المرأة لعبة زوجها ، فإن استطاع أحدكم أن يحسن لعبته فليفعل » .

والمداعبة : المازحة ، والمنازلة - تقول : غالزنى المرأة : إذا تماجنت عليك في كلامها  
وأشارت لك بعينها ، وغزتك بحاجبها حتّى إذا طمعت فيها صددت عنك . . . . . والمليحة  
الصورة : المستملحة . كالدمى والصّور التي تلعب بها البنات ونحوها .

### مات زوجها فتزوّجت ! :

يروى أن امرأة من مدينة « يشكر » اسمها « أمّ عقبة » كانت عند ابن عمّ لها يقال له  
« غسان » وأنّه سألها عما تصنع بعد موته ، فقال :

أخبرى بالذى تريدن بعدى      والذى تضميرن يا أمّ عقيبهُ  
تحفظين من بعد موتى لما قد      كان منى من حسن خلقٍ وصحبهُ  
أم تريدن ذا جمالٍ ومالٍ      وأنا فى التراب فى سجن غربة

(١) فى خزنة الأدب للبغدادى . (٢) نكح رأسها : أى تخفيها كما هو مشهور عن النعام غالباً .

فَقَالَتْ لَهُ : وَاللَّهِ لَا أَجِيئُكَ بِكَذِبٍ ، وَلَا أَجْمَلُهُ آخِرَ حَظِّي مِنْكَ . وَأَنْشَدَتْهُ :  
 قَدْ سَمِعْتُ الَّذِي تَقُولُ وَمَا قَدْ      يَا ابْنَ عَمِّي تَخَافُ مِنْ أُمِّ عَقْبَةَ  
 سَوْفَ أَبْكِيكَ مَاحِيْتُ بَنُو حِ      وَمَرَاتٍ أَقُولُهَا أَوْ بِنْدَبَةَ  
 فَلَمَّا سَمِعَهَا أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَنَا وَاللَّهِ وَائِقُ بِكَ لَكِنْ      احْتِيَاطًا أَخَافُ غَدْرَ النِّسَاءِ  
 بَعْدَ مَوْتِ الْأَزْوَاجِ بِاخْتِيَارٍ مِنْ عَو      شَرِّ فَارِعَى حَقِّي لِحَسَنِ الْوَفَاءِ  
 إِنِّي قَدْ رَجَوْتُ أَنْ تَحْفَظِي الْهَمَّ      مَدِّ فِكُونِي إِنْ مَتَّ عِنْدَ الرَّجَاءِ  
 ثُمَّ اعْتَقَلَ لِسَانَهُ فَلَمْ يَنْطِقْ حَتَّى مَاتَ . فَلَمْ تَمُكِّثْ بَعْدَهُ قَلِيلًا حَتَّى خُطِبْتَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ،  
 وَرَغِبَ فِيهَا الْأَزْوَاجُ لِاجْتِمَاعِ الْخِصَالِ الْفَاضِلَةِ فِيهَا ، فَقَالَتْ بِحَبِيَّةَ لَهُمْ :

سَأَحْفَظُ غَسَّانًا عَلَى بُعْدِ دَارِهِ      وَزِعَاهُ حَتَّى نَلْتَقَى يَوْمَ نُخْشَرُ  
 وَإِنِّي لَنِي شُغْلٌ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ      فَكُفُّوا فَمَا مِثْلِي بَعْنُ مَاتَ يَنْدُرُ  
 سَابَكِي عَلَيْهِ مَاحِيْتُ بِدَمْعَةٍ      تَجُولُ عَلَى الْخُدَّيْنِ تَهْمِي فَهَمُّرُ

فَلَمَّا تَطَاوَلَتِ الْأَيَّامُ تَنَاسَتْ عَهْدُهُ وَقَالَتْ : مِنْ مَاتَ فَقَدَ فَاتَ .  
 فَأَجَابَتْ بَعْضُ خُطَّابِهَا فَعَقَدَ عَلَيْهَا . فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَرَادَ الدَّخُولَ بِهَا أَتَاهَا آتٌ  
 فِي مَنَامِهَا فَقَالَ :

عَقَدْتُ وَلَمْ تَرَعِي لِبُعْلِكَ حَرَمَةً      وَلَمْ تَعْرِفِي حَقًّا وَلَمْ تَحْفَظِي الْمَهْدَا  
 وَلَمْ تَصْبِرِي حَوْلًا حِفَاطًا لِصَاحِبِ      حَلَفْتَ لَهُ بَقَاً وَلَمْ تَنْجِزِي الْوَعْدَا  
 غَدَرْتُ بِهِ لَمَّا ثَوَى فِي ضَرْيَحِهِ      كَذَلِكَ يُنْسَى كُلُّ مَنْ سَكَنَ اللَّحْدَا

فَلَمَّا سَمِعَتْ هَذِهِ الْأَيَّاتِ ، انْتَبَهَتْ مَرْتَاعَةً كَأَنَّ غَسَّانَ مَعَهَا فِي جَانِبِ الْبَيْتِ ، وَأَنْكَرَ  
 ذَلِكَ مِنْ حَضَرِهَا مِنْ نِسَائِهَا ، فَأَنْشَدَتْهُنَّ الْأَيَّاتِ ، فَأَخَذْنَ مَعَهَا فِي حَدِيثٍ لَيْسَ فِيهَا مَا هِيَ فِيهِ ،  
 فَتَغَفَّلْنَ وَأَخَذَتْ مَدِيَّةً ، فَلَمْ يَدْرِكْنَهَا حَتَّى ذُبِحَتْ نَفْسُهَا . فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ :

لَهُ دَرَكٌ مَآذَا لَقِيتِ مِنْ غَسَّانِ  
 قَتَلْتِ نَفْسَكَ حُرْنًا يَا خَيْرَةَ النَّسْوَانِ

وفيت من بعد ما قد همت بالمصيان  
وذو المال غفور لسقطه الإنسان  
إنّ الوفاء من الله لم يزل بمكان

\*\*\*

### وفاء عائشة بنت طلحة لزوجها المتوفى :

قالت امرأة حاكية<sup>(١)</sup> : كنت عند عائشة بنت طلحة يوماً ، فقيل لها : هذا الأمير قد جاء ، فتنحيت . ودخل عمر بن عبد الله زوجها فلما خرج من عندها ، رأيته وكأنا أوتى ملك سليمان .

ويقال : إن رملة بنت عبد الله ضرّة عائشة هذمت قالت لمولاة عائشة يوماً : أربني مولاتك مجردة وأنا أعطيك ألفي درهم . فذكرت الجارية ذلك لعائشة ، فقالت : أنا أتجرد لها ولا تعلمها أنى عرفت . ثم قامت عائشة فتجردت كأنها تفتسل . وذهبت مولاتها إلى رملة ضرّتها فأخبرتها ، فأشرفت عليها وتأملتّها مقبلة ومدبرة ؛ وأعطت الجارية ألفي درهم وقالت : وددت لو أنّي أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أرها ، وذلك لما راعها من حسن جسدها والبض ، وتناسق جمال أعضائه المثيرة الفاتنة .

ولما مات عمر بن عبد الله زوج عائشة ندبته قائمة ، دلالة على أنها لا تتزوج بعده .  
روى الأصفهاني في كتابه « الأغاني » أنّ عائكة بنت يزيد بن معاوية ، استأذنت زوجها عبد الملك في الحجّ ، فأذن لها وقال : ارفعي إلى حوائجك كلّها ، واستظهري فإنّ عائشة بنت طلحة تحجّ ممك ، فاستظهرت بكلّ ما تقدر عليه ، وخرجت بهيئة حسنة قد اجتهدت فيها . فلما كانت بين مكة والمدينة إذا ركب قد جاء فضضها وفرّق جماعتها ، وكان هو ركب عائشة بنت طلحة !

\*\*\*



## القبلة وإباحتها<sup>(١)</sup>

قالت طائفة من العلماء : القبلة مباحة لمن وصل إلى حد يخاف على نفسه من التلف في الحين قالوا : لأن تركها قد يؤدي إلى هلاك النفس ، والقبلة صغيرة ، وهلاك النفس كبيرة ، وإذا وقع الإنسان في مرضين داوى الأخطر ، ولا خطر أعظم من خطر النفس ، حتى أوجبوا على المحبوب مطاوعته على ذلك . إذا علم أن ترك ذلك يؤدي إلى إهلاكه . واحتجوا بقول الله تعالى : « الذين يحبون كبار الإثم والفواحش إلا اللوم . . . » والحديث الذي يقول : يا رسول الله إني لقيت امرأة أجنبية فأصبت منها كل شيء إلا النكاح ، قال : أصليت معنا ؟ قال : نعم . قال : إن الله قد غفر لك . فأنزل الله تعالى : « وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات » . رجع إلى المقاطيع :

قال أبو الفرج الجوزي :

يا مانع القبلة من خدِّه      فتت قلبي فهو مفتوت  
لا تمسح أقامسى ولا حرها      فإتما خدك ياقوت

ولأبي الفضل بن أبي الوفا :

سألتها رشف ريق      مستعذب الطعم حاوي  
قالت : فصفه أرتجلاً      فقلت : بمد التروى

ولابن حجة :

وعاشق أزم معشوقه قبلة      في فيه فيها شفاء  
ولم يخف من جارحي لحظه      خطفاً وقد باس ولم يخطفاه

ولابن المطار :

جمت بالراح شملى      فالله يجمع شملك  
وكم يد لك عندي      دعني أقبل رجلك

(١) المنتخبات الشعرية رقم ٦٤٨ شعر تيمور مخطوط ص ٨٧ .

ولآخر :

رأيت في مجلسي مليحاً يشبه بدر الدجى وأحسن  
سألته قبلةً بخدِّ فجاد بالوصل لي وأحسن

وقال آخر :

سأنته قبلةً الذَّبهَا فصَدَّ عني وقال سروالك  
فقلت : لم سيدي ؟ فجأوبني : عاقبة البوس حل سروالك

ولآخر في « مشروطٍ على الخدَّة » :

بروحى مشروط على الخدَّة أسمر وفاودنا بمد التجنب والسَّخَط  
فقال على اللثم اشترطنا فلا تزد فضَّلته ألفاً على ذلك الشرط

ولبعضهم رحمه الله :

قال الحبيب وقد رشفت رضابه في يوم من رمضان لما زارا  
أفطرت ؟ قلت : نعم رأيتك طالماً وهلال وجهك يوجب الإفطارا

ولآخر عفا الله عنه :

قَبَات مبسمه فقال تَذُلُّا عند اللقاء له ونَحْنُ صِيَامُ  
أفطرت ياهذا ، فقلت له : ابتداء الصوم مع رؤيا الهلال حَرَامُ

وقال آخر في الجناس :

إن كنت تألف بالحبيب وقربه فاصبر على جور الرقيب وداره  
إن الرقيب إذا صبرت لحُكْمِهِ ثَوَاك في مثوى الحبيب وداره

## محاسنُ الخلقِ والخلقِ<sup>(١)</sup>

عن وهب بن منبه - أنه قال : قال موسى عليه السلام : أى رب أى عبادك أحب إليك ؟ . قال : من أذكر برؤيته . وقال وهب : قال داود : يارب أى عبادك أحب إليك ؟ قال : مؤمن حسن الصورة . قال : أى عبادك أبغض إليك ؟ قال : كافر قبيح الصورة ...

وفي مسند الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله يحبّ الجمال . رواه عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو سعيد الخدرى ، وعبد الله بن مسعود وجماعة .

وعن حديث ابن حديج عن أبي مليكة ، يرفعه : من آتاه الله وجهاً حسناً وخلقاً حسناً وجعله فى موضع غير شائنٍ له ، فهو من صفوة الله من خلقه .

وفى الصحيحين عن أبي بريدة - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب أن يكون الرسول الذى يرسل إليه حسن الوجه حسن الاسم . وكان يقول : إذا أبردتهم إلى بريداً فليكن حسن الوجه حسن الاسم .

وفى مליح :

يا من له وجهٌ بدت أنواره      كالشمس عند طلوعها بل أشرق  
لولا هواك لما جفا جفنى الكرى      ليلاً ، وبثٌ بدمع عيني أشرق

وفى آخر :

شبهت بالبدر الحبيب فقال لى      لاح به أثر الصبابة لايح  
لا وجه للتشبيه ، قلت : أما ترى      وجه الحبيب ؟ فقال : وجه واضح

وقال له :

وجهه يفوق الهلال حسناً      ويُخجلُ البدر إن تجلّى  
يقول فى الحال من رآه      أشهد أن لا مליح إلا

وقال آخر :

أحِبُّ من المردان كلَّ مهْهَفٍ      رشيقِ الشئى لم يسر في خدَّه الشعرُ  
فأما إذا ما الشعرُ في خدَّه بدا      فلا خير في اللذات من دونها السَّترُ

وقال آخر :

أظهروا وجهك المليح      ثمَّ لاموا من افتتنَ  
لو أرادوا جنايتي      حجبوا وجهك الحسنَ

وقال آخر وأجاد :

يا من وهبتُ له رُوحى فمذَّبهَا      ورمتُ تخليصها منه فلم أطق  
أدرك بقيَّةَ نفس فيك قد بلغت      قبل الماتِ فهذا آخر الرَّمقِ  
ولابن الخطيب في « الحسن » :

الدُّرُّ فوق جبينه يتوقَّدُ      والماءُ في وجناته يتردَّدُ  
كتب الهوى بيد إليه يؤكَّدُ      بالحسن فوق جبينه يا واحد  
وله أيضاً :

جفون ممذبي يعلَّأه      مئى وإن وداده تكليفُ  
لكننى لم أنا عنه لأنه      خبرٌ رواه الجفن وهو ضعيفُ  
ولشهاب الدين بن ناصر الدين :

بى سقام من جفون      قد جفونى لست أبرأ  
وعيون فأتكات      من سيوف الهند أبرأ

ولآخر :

كأنَّ مقاتله صاد ، وحاجبه      نون وموضع تقييلاته ميم  
فصرت أعبد منه فى الهوى صنماً      وعابد الصنم الإنسانى مخدوم  
ولآخر - فى العيون :

يا من يشبه نرجساً بنواظر      دعج تدبَّه إنَّ فهمك راقد  
أين القياس لمن يصحَّ قياسه      بين الميئون وبينه ذا ساعد

وقال أيضاً في ذلك :

وظبيّ إذا عاتبت ناعس طرفه  
ألا فاشهدوا قتلي بسيف جفونه  
ولآخر - في العيون السود :

عيونك السود إن مدّت سوائفها  
وإن كان جبل الجفا سودّ معارفها  
ولآخر - في ذلك :

كنت أشتهى بحبيبي ألف ناقة سود  
أنزل إلى الحرب آخذ عود وأعطى عود  
وفي من عينه زرقاء :

بمينه الزرقاء  
واعجباً أحبه  
في قلبي سهم مطلق  
وهو العدو الأزرق

وفي أحول :

قالوا شُنت بأحول فأجبتهم  
لاتحسبوا حولانه .. لكنه

وفي من بعينه رمد :

جاء الحبيب وعيناه بها رمد  
وقال أرجو علاجاً قلت واعجباً

وفي الوجنة الحمراء :

الطرف بعدك قد عادت مدامعه  
والقلب في الوجنة الحمراء يأسكني

وفي مبتسم الثغر :

جاء بصبح ثغره مبتسماً  
قلت له : دمت لقلبي هكذا  
يمشي بليل الشعر في دلال  
ما دامت الأيام والليالي

وفي حبيب :

قال الحبيب يقول ثنرى إنّه  
يازيد خذ منه الحديث فإنّه  
ذو قرقف داء المحبة دافع  
حسنٌ رواه مالك عن نافع

وقال في أحور :

وأحور طرفى حائر فى جماله  
وعريننه أقى أظمّ وطرفه  
وفى لجلجة كلام المحبوب :

عابوا التلجلج - فى كلام معذبى  
إنّ الذى ينسى الكلام لسانه  
فأجبتهم والعذر فيه بيان  
ولسانه من ريقه سكران

وفى معاينة حسن الحبيب :

لو غابت عينك حسن معذبى  
عين الرشا ، قدّ القفا ، ردف الفقا  
ولابن مبارك :

يا أيّها العشاق قد جاءكم  
أجيدٌ إتلافٌ روح امرئٍ

وقال آخر - فى من بيده مديّة :

وشادنٌ فى يده مديّة  
ما كان محتاجاً إلى حملها

ولأبى نواس - فى أحور ساحر العيين :

ولى على أحورٍ ممكورٍ  
تختاره الحورُ علينا كما

وفى من يبكى ! :

يا قمرًا أبصرتُ فى مآتمٍ  
لا تبكٍ للعتِ ياسيدي  
يندبُ شجواً بين أثوابٍ  
وابكٍ قتيلاً لك بالباب

وفي من ينظر في المرأة :

وإذا أراد بأن ينزّه طرفه أخذ المرأة بكفه فتفرّجاً  
فكانه وكأنها في كفه شمس الضحى قد قارنت بدر الدجى

وفي قواس :

قالت لقواس له طلعة يا من له وجه كبدر الدجى  
من رام عنها الصبر لم يقدر بكم تبسّع القوس للمشتري ؟

وللازميري في رام :

بأبي وأمي رامياً يسيى الحشا لما أراد اطلاق سهم رامياً  
بلواحظ تسطو على العشاق زاد الورى عشقاً على الإطلاق

وفيه أيضاً :

رمى عن قوسه فى الطير سهماً على عجل ولم يمهل رويدا  
وفوق نحو قلبي سهم طرف فلم يخطى بسهميه السويدا

وفي رمال :

وضارب بالرمل من حسنه كأن من أبدع فى خلقه  
مستخرج فى الرمل أشكاله قد خلق العشاق من أجله  
وما يريدون سوى شكله يزدهم الناس على رمله

ولابن الورديّ فى ذلك :

حكي القضيّب والقنا وقال وصلى غفلة  
بالرمل إلا بفيض داخل والأنايل

وقال فى منجم :

ورب منجم قد صدّ عني فقلت عساك ترجع عن قريب  
ولى أبداً بطلعتة ولوع فقال الشمس ليس لها رجوع

ولابن المزيّن في تاجر :

وتاجرٌ شاهدت عشاقه والحرب فيها بينهم تسائرُ  
قال على ما اقتتلوا هكذا قلت على عينك يا تاجرُ  
وللأزميري - في تاجر أيضاً :

وتاجرٌ يمنح عشاقه مالا ووصلاً ليري نادره  
ما ردّ يوماً منها زائراً لأنه متّسع الدابره  
وله في شاعر :

لا تمدّوني إذا عشقت شاعراً في فيه نظم الدرّ يا رفاقي  
فهو البديع حسنه لكنه يميل للترصيع في الطباقي  
ولآخر في الخدّة :

بدّا في الخدّ عارضه فأضحى عليه مفيض باللوم يُغري  
وحاول أن يرى متى سلّوا فقال : لقد تمذّر . قلت : صبري  
ولآخر ... اقتباس - في من في خدّه عذار :

رأيتُ في خدّه عذاراً خلعت في حبه عذارى  
قد كتّب الحسنُ فيه سطرأ ويوجّ الليل في النهار  
ولابن المعتز في ذمه وهجره :

يارب إن لم يكن في وصله طمعُ فاشف السقام الذي في جفن مقلته  
ولم يكن قدح من طول هجرته واستر محاسن خديّه بلحيته  
وله أيضاً - عفا الله عنه :

ها قد غدا في ثياب الشعر في كفن - وقد تمّعت معاني وجهك الحسن -  
وكان يعرض عني حين أبصره فصرتُ أعرّضُ عنه حين يبصرني  
وقال آخر :

لما التحى ومعا الإلهُ جماله وكساه ثوبَ مذلة وتفاق  
كتب الزمان بخطه في خدّه هذا جزاء معذب العشاق



وقال آخر :

غداً أسوداً بالشعر أبيض وجهه  
على وجهه أضحي بخطى عذاره  
فأصبح من بعد التثنم في ضنك  
تناديهما عيناه حزناً : قفانبك  
ولآخر ... اقتباس :

قتل الناس باللواخط حتى  
طلعت ذقنه وعيناه كَلَّتْ  
أذهب الله حسنه والجمالاً  
وكفى الله المؤمنين القتالاً  
ولآخر .. مثله :

لما بدا في خده عارض  
وقلت غدا عارض ممطر  
بشرت قلبي بالسوء المقيم  
فجاءني منه عذاب أليم  
وقال آخر - أيضاً :

قلت لما تشركت عارضاه  
إيش هذا فقال لي في جوابي  
ولابن نباتة :

وأمرد مقتته ربه  
أرسله الله لنا آية  
بدله بعض الضيا بالظلم  
ليعلموا كيف زوال النعم  
وله أيضاً - رحمه الله :

دارت عذار حبيبي  
فياله حسن وجه  
حتى غدا وهو حار  
دارت عليه الدوائر  
وقال آخر :

وخلصني من يدى عشقه  
كنست فؤادى من حسنه  
ظلام على خده حنسنه  
ولحيته كانت المكسنه  
وقال آخر . والله درّ قائله :

ما فعل الله باليهودى  
ولا بفرعون من عصاه  
ولا بصاد ولا ثمود  
ما فعل الشعر بالحدود

## ما قيل في الأسماء<sup>(١)</sup> :

في محمد بن عربي :

أحمد عساك تشهد لي      أنى قتيل عيونك النجل  
فقت الملاح فانت خاتمها      وكذا سميت خاتم الرُّسل  
وفيه أيضاً :

قالوا تشفع بالجمال      ولو تثبت كان أجود  
فأجبت إني مسلم      أرجو الشفاعة من محمد  
ولابن المفيف :

أيها المودّع قلبي      نار وجد تتوقّد  
كيف تستاهل ناراً      مهجة تهوى محمد  
وفي أحمد :

قد غدا أحمد لي ما أجود      وكان بالوصل لنا ينجد  
وإن بعد يرضى لمشاقه      فالوصل يا أحمد لي أحمد  
وفيه أيضاً :

مذ وفا أحمد وعدى      ولهيب الشوق أحمد  
فأنا في كل حال      أشكر الله وأحمد  
آخر والله در قائله :

ولقد قنعت من الحبيب بنظرة      أطلق بها نارى التي لا تخمد  
قالوا فن شئت تحب ؟ فأجبتهم      غصن النقا بدر الدجى يا أحمد  
وفي أبي بكر :

تعشّقت ظلياً فاتن اللحظ فآراً      أبو بكر يدعى خليفة طامة البدر  
فلا تنكروا وجدى فإني محمد      وإني من أولى الورى بأبي بكر

وفيه أيضاً :

بروحى أبا بكر فديت ومهجتي      له طاعة كالبدن والنصن قدّه  
مليحاً بيدر التّم في أفقه يذرى      له طاعة كالبدن والنصن قدّه  
وناظر من بابل جاء بالسحر      وللحجازى - فيه أيضاً :

بمدح أبى بكر سموتُ فيا له      ولمشاهب الدين التليح ، وأنشده لنفسه :  
ولا بدع إذ بالنت في مدحه إذا

من حبيبي ووفاء      وعداً له وحققه  
ولا عجيباً من أبى      بكر الوفاء ما أصدقه

وفى عمر :

ما عليهم فى الهوى إذ نظروا      حين سمّوك وقالوا : عمر  
أبدلوا قافلك عيناً غلطاً      أخطأوا ما أنت إلا قر

وفى عثمان :

وافى إلىّ بشمعتين ووجهه      بضياؤه يزهو على القمرين  
ناديت ما الاسم ؟ يا كلّ المنى      فأجابني عثمان ذو النورين

لغز فى عثمان :

يا أيها العارف فى فنّه      ومدعى الفهم وعلم البيان  
ما قولكم فى أحرف خمسة      إذا مضى حرف تبقى ثمان

وفى علىّ :

قال العذول مذ رأى      قلبي به فى شغل  
بمن فتنت فى الورى ؟      فقلت دعنى بعلى

وله عفا الله عنه :

بعلى قد همت ما بين الورى      وبه قلبي المعنى قد بلى  
وإذا ما غاب عنى شخصه      صاح قلبي وحشة يالعلّى

ولابن حجر الحافظ رحمه الله :

قلت : هل لى من دوا  
قالوا سلوى كل حبّ  
قد غدا قلبي عليلاً  
قلت إلّا عن على لا

وللحجازى فى عبد العزيز :

إن عبد العزيز قد جاء نحوى  
فى هواه حقاً لقد طاب ذلى  
شرح حالى أغنى عن التميز  
حيث أصبحت عبد عبد العزيز

وللازهرى فى عبد القادر :

حبّى عبد القادر الذى له  
وكيف لا أريده بين الورى  
بهجة حسن والورى عبيده  
والله يدرى أننى أريده

لنرى فى عبد الله :

اسم من أهواه ياستيدى  
وأخو الورد تمام اسمه  
فيه من الضرب حرقان  
وواحد ليس له ثمان

وفى عبد القوى :

عبد القوى سباني بقده السهمرى  
وصرت عبداً ضعيفاً فى حبّ عبد القوى

وفى عبد اللطيف :

فتنت بعبد اللطيف الذى  
ولا عجب إن بدا لطفه  
فطانت أسكنته الفؤاد  
فبعد اللطيف لطيف العباد

وفى عبد الحفيظ :

عبد الحفيظ الندى  
لا تختشى من ضياع  
قد أنجح الله قصده  
فالله يحفظ عبده

وفى محمود :

يقول لى منكراً حالى به  
فقلت لا تسل بحق الهوى  
من لك فى ذا الحى مقصود  
عنه فقصدى فيه محمود

وفيه يهجو :

ما كنت أحسب أنى أجي إلى زمن  
يسبنى فيه كلب وهو محمود  
وفى إبراهيم :

عجبت لنار قلبي كيف تبقى  
حرارتها وحبك تحتويه  
فيا نيرانه كوني سلاماً  
وبرداً إن إبراهيم فيه  
وفيه أيضاً :

لا زال بابك للمكارم كمةً  
فُتِرى بها للواردين رسوم  
حتى يقول القاصدون بأمرهم  
هذا المقام وأنت إبراهيم  
ولابن نباتة فى خليل :

يفيب خليل الحسن عنى ليلة  
فأسأم من ليل طويل أراقبه  
وكيف يطيب العيش عندى والكرى  
وليس إلى جنبى خليلاً ألاعبه  
ولمزددين الموصلى :

قال حَبِّى خليل غيّرت ودى  
وتركت الفؤاد مَتّى عليلاً  
بعد عشق الملاح صرت قتيلاً  
ما تراعى من الأنام خليلاً  
وقال فى يعقوب :

يعقوب إنّى يوسف قد تركتنى  
من الحزن يعقوباً وأصبحت يوسفاً  
وأصبحتُ مخذولاً وقد كنت ناصراً  
وكنت ملكاً صرت عبداً مكلفاً  
ولابن الخياط - فيه أيضاً :

رأيت أنى فى الكرى لائماً  
مبسمك الشافى آلامى  
يوسف انبينا بتأويله  
فقال هى أضماث أحلامى  
لنرفيه . . وأجاد :

يا سائلى عن اسم من أحببته  
إنّى بمن أهواه غير مصرح  
فإذا أردت بياناه فاعمد إلى  
مكوس سابع كلمة فى « سنج »

وفي موسى :

رأيت في حلق غزالا      تحير في وصفه العيون  
فقلت ما الاسم قال موسى      فقلت هنا تخلق الذقون

وفي عيسى :

ناديت يا عيسى ترفق بامرئ      أحشاؤه قد أحرقت نهاكا  
عيسى بن مريم كان يحبي من يرى      وتميت أنت الحى حين يراكا

في داود :

وقمت بأن قلبي من حديد      وفيه على الهوى بأس شديد  
فلان على هواك ولا عجيب      إذا داود لأن له الحديد

وفيه أيضا :

أمسى يقرّ بحسنه بدر الدجى      وغدا يذوب بحسنه الجلود  
فإذا بدا فكأتما هو يوسف      وإذا شدا فكأنه داوود

في سليمان :

له وجنة تدمى من اللحظ رقة      يكاد بها ماء الشبية ينهل  
فهذا سليمان لركة خده      إذا دبّ فيه النمل كلمه التمل

في خضر :

مهفّف طلعتة ايس بها      مناظره وقده غصن نضر  
يجرى لنا ماء الحياة وثغره      لا تمجبوا ماء الحياة فهو خضر

في رجب :

دموعى ربيع والرقاد محرّم      على جفن عيني مذ هجرت بلا سبب  
وفي القلب من شعبان نيران نصفه      فجذلى بما أرجو من الوصل يارجب

في شعبان :

شعبان قد أمسى يهزّ معاطفاً      أبدت حلاوة خصره مع ردفه  
لا غرو إن لاحت عليه طلاوة      شعبان كلّ حلاوة في نصفه

على بن سودون - في بركات :

رشاً يصيد الأسد في اللغات  
الوجه منه مبارك فإذا بدا  
ابن القيصراني في منصور :

يا قمر الوصل في جنة  
كم حاربتك الشمس في حسنها  
النواجي في نجم :

قد كنت أحسب نجم الدين يمنحني  
حتى رماني في نيران مهجته  
وله في سعد :

أنا قد همت بسعد  
فاطرح نصحي ودعني  
وله في سعيد :

مما مني مهجتي سعيداً  
إذا اجتمعنا يقول صدرى  
وله في قاسم :

شكوت له حالي وفرط صبابتي  
وقال استعصر صبرى وكن متأسياً  
ابن المطار في يحيى :

أيمكن سلوتي يحيى ؟ وروحي  
وقلبي يشتهى فيه اكتسابي  
وله في هاشم :

في هاشم قلبي بدا دايباً  
وكسر قلبي صحّ في عشقه  
من لحظة الفاتك بالعالم  
لقلة الإنصاف في هاشم

وله في عامر :

حبيبي يدعى في الأنام بعامر  
يهدد قلبي بالصدود وبالخفا  
وله في فرج :

وليس لي غلص أرجو النجاة به  
لكن أضمت بيت القائل بن رجا  
آخر :

يا لائمي في رشيق القد معتدل  
أشكو الشدائد من وجدٍ أكابده  
للحجاج في أمير حاج :

مننت بزورة للعيد يوماً  
وأما إن دعيت أمير حاج  
ولابن نباتة في عماد :

قالوا المهاد مليح  
بحسنه قلت قصدي  
لعمز الدين الموصلي في جرادة :

لقبوه جرادة وهو ظبي  
صدته فامتلا فؤادي شحماً  
لابن نباتة في إلياس :

أفدى مليحاً في البرايا لم أزل  
قالوا أقطعه كبيراً قلت من  
لنزي في إسماعيل :

اسم من قد هويت ست حروف  
عيل صبرى تمام اسم حبيبي  
نصفها ما تبديت فاستفهموها  
ما على العالمين لو فهموها



لابن الصايغ، في حسن :

إن الحسود عندما عاين ذا الحسن افتتن  
وقال لا بدع إذا أتى على بالحسن

وفي حسين :

حسين سباني حسنه ولحاظه  
رمانى بسهم اللحظ قلت له اتد  
وقامته كالخيزرانة تنثنى  
سميك مقتول وأنت قتلتنى

وفي بدر :

سموه بدرأ وذاك لما  
وأجمع الناس إذ رأوه  
أن فاق في حسنه وعمّا  
بأنه اسم على مسمى

وفي كمال الدين :

دينى تكمل مذ جُعلتم قبلتى  
وغدوت أنشد فى البرية كلّها  
وسجدت فى أعتابكم بجبىنى  
ما الفخر إلا فى كمال الدين

فى عزّ الدين :

مولاي عزّ الدين يامن غدا  
بكم حقيقةً حسنت حالتى  
مادحه ما زال فى عزّ  
والذلّ قد بدّل بالعرّ

فى تاج الدّين :

يبابك تاج الدين قد جئت مهدياً  
فزادت بهاء من عطائك سيدى  
جراهر لفظ لم ينلنى تاجر  
وفى التاج أبهى ما يكون الجواهر

الشهاب الصائم، فى محبّ الدّين :

فى ملاح لك شتى  
كم ليالٍ مع غزال  
ضعف القاب وشتا  
يا محبّ الدين بتا

في شرف الدين ، يهجو ، وأجاد :

لقبوه شرف الدين يرجون السيادة  
كيف يرجي منه خير وهو شرٌّ وزيادة

في زيتون يهجو فيه :

سموك زيتوناً فما أنصفوا  
لأن للزيتون زيت يضي

في يونس :

وقالوا حبيب القلب بدرٌ وقدّه  
فلو لم يكن غصنا لما كان مائلاً

آخر، وأجاد:

شفتت بفتان اللواظ أهيف  
فإن غاب عن عيني تصورت شخصه

في مقبل :

يامن تحجب عن محبّ صادق  
من لي بيوم فيه يسمح باللقا

في شاهين :

يامن تسمّى بشاهين وسيمته  
قد اشتهيناك بالشاهين لا نقسا

في عنبر :

مذ رآني عنبر حبيبي  
أرشفني من لاه خراً

في بشير :

بشير سبأ مهجتي وجا كبدر منير  
وقد جاد لي بالرضا وللاواصل وافي بشير

في سنبل :

يقولون لي إذ زار في الحبّ سنبل  
أهذا شذا مسك تضيع نشره  
وقد فاق ربّاً نشره كلّ مندل  
فقلت له هذا شذا عرف سنبل

في كافور :

مذ زار كافورنا البديع سنا  
شاهدت من خاله بوجنته  
ووجهه حفّ من سنا النور  
نقطة مسك تبدو بكافور

في مسرور :

يقولون لي مسرور وافاك زائراً  
فقلت لهم قد زال همي بوصله  
وقد بت بالصباية ماسوراً  
وقلبي به في الحب أصبح مسروراً  
في ريحان، ولله درّه :

فدبت ريحان صبا بالجووى  
لما رنا بلحاظه من نرجس  
وبعاد قلبي شفه الأشجان  
وبدا بعارض خدّه ريحان

في صبيح، وأجاد :

أرى صبيح مهجتي قد سبي  
فكيف لي بالصبر عن حبه  
وصير الدمع بخدّ يسبح  
وقد سبي قلبي بوجه صبيح

في مبارك :

مبارك يا عذولي  
لو زارني كنت أحظى  
أطلت فيه مقالك  
منه بكعب مبارك

في فرج :

يا قلب صبراً إذ أتاني فرج  
وربما تبلغ المراد وكم  
عساك بالوصل منه تبتهج  
قد جاء عند الضيق الفرج

## ما قيل في المهن والحرف :

في إسكاف :

ربّ إسكاف مليح حسنه      ذاب قلبي منه صدّاً وجفا  
كلّما أشكو إليه سقمي      قال ما عندي سوى هذا الشفا

في بخاتق :

تسلطن في الملاح بخاتق      ولم يرض يبدّر التّم نايب  
وصفّ له من الأتراك جنداً      وأصبح موكباً تحت المصاب

في حباك :

يا مليحاً مهذب مقلته      صاد قلبي منه بالشرك  
مذ رأيت الحبك صنمته      قلت هذا البدر في الحبك

عز الدين الموصلی، في حجام :

وحلجهم في الكاس أجرى دماً      من ساق ساقينا بإشفاق  
لكنّه خالف في شرطه      فحكم الكاس على الساق

في حریری :

حریری يبيع الحسن لكن      شبيه الفصن والبدر النير  
كسى جسمی السقام ولا عجيب      لثوب السقم من هذا الحریری

وما أحسن من قال ما ينسج على تكّة .. وأجاد :

أنا قفل من حریری ...      فوق خصر مستدير  
أنا لا أفتح إلا ...      عند أوقات السرور

وقال في حداد، وأجاد :

تعشّقت حداداً بديع ملاحه      له طاعة في الحسن تعلو وتشمخ  
إذا رمت بالطريق وصلاً بقربه      أراه ستر الفيظ ثم ينفخ

في حلاوى :

ريق الحلاوى أحلى من حلاوته      في خصره دنف والرّدف منقوش  
والدمع سكب وأحشأى تقوضه      واتخذ مّنى بماء الدمع مرشوش  
لابن الوردى فيه أيضاً :

الحلاوى قال لى      أنا للحسن معدن  
سهم عيني مسبر      وعدوى مكفن  
وللصفدى فيه أيضاً :

إن هذا الصّبى الحلاوى أضحى      يتجنّى على الكئيب ويحقد  
لا تعارضه فى هواه بشكوى      دعه فى دسته يحل ويمقد  
فى حوايجى :

حوايجى أتيت أسأله      قلت له يا أخا الرضا صف لى  
فى عنق دمل به ورم      قال يداوى بمرهم النخل  
لابن الوردى، فى خياط :

لما أتى والمقصّ فى يده ...      وفصل العاتقين والبدا  
فقال وصلاً يعوز قلت له      العايز الوصل يا مليح أنا  
وأيضاً فيه :

مررت بخياط حكي البدر طلعة      وشا كل غصن البان لما اثنى قدّا  
يقدّ ويفرى الثوب ثم يخطه      فلم ثوب قلبى لا يخط وقدّ قدّا  
ولالأزميرى فيه أيضاً :

لله خياط إذا سأله      وصلاً أراه جا بالمطوب  
وإن شكوت غمّتى لردفه      فرجها بالوصل والركوب  
فى ذهبي :

عشقه ذهبيّ اللون طلعه      أبهى من البدر بل أبهى من الشهب  
إن مات طبعاً إليه ليس ذا عجب      فالناس بالطبع قد مالوا إلى الذهب

وفيه أيضاً :

إلى الذهبي صبا قلبي      وكم يدعو للمطاب  
ألم ترني على شغفي      أحب الرضع في الذهب

وفي راشد :

أقول لراشدي لما تبدي      عساه يكون لي بالوصل ناجد  
بحسن جمالك الحسن المفدى      إلى المشاق قد وافاك راشد

وفي رسام :

هويت رساماً كبدر الدجى      وثغره كالدرّ إذا تبسم  
قلت له صلني ولو ساعة      قال بكم ؟ قلت : بما ترسم

وفي رفا :

يا رافيا قطع كلّ ثوب      يا بنية النفس يا مرادى  
عسى بخيط الوصال ترفى      ما فرق الهجر من فؤادى

وللصفدي فيه أيضاً :

ورفاً له وجهٌ مليحٌ      محاسنه البديعة ليس تخفى  
شغلت به الفؤاد ولا زمانا      أرى ثوب الفؤاد يمد زرفاً

في بيع ريحان :

يا صاح ريحاننا قد زارني      وبكاس فيه لماً سقاني  
لما نظرت إلى شقايق خده      سبب الفؤاد عذاره الريحان

وللصفدي في سكرى :

سبتني صفات السكرى الذي له      بضاعته حتى عدت قرارى  
مكرر لفظ في سنينات مبسم      وأحمر خدّ في نبات عذار

ولابن العربي . . في مليح يسبي الفؤاد :

وظبي يطرق بمرآته      فيسبي فؤادى من لطفه  
وهيهات أن أرتجى من هواه      خلاصاً ودفنى في كفه

ولبدر الدماميني، في سبّاك :

سبّاك تبر وفضة صنعته  
قلت له سبني أنا وأخي  
وقال آخر، وأجاد، في مروجي :  
فتنت به مروجياً بديعاً  
إذا جذب الغرام له عناني  
في سقا :

لله سقا له طلعة  
أروم أن يسكب لي قربة  
وللأزميري فيه أيضاً :

عشقت سقا كالزلال رضابه  
يروي المبرد عن لاه كاملاً  
ولشيخ الشيوخ بحماسة، في شرابي :  
سألته من ريقه شربة  
فقال أخني يا شديد الظما  
ولا بن الصايغ، في شماع :

نظرت إليه شماعاً مليحاً  
له خدّ جمر لا لهيب  
مواليا في صابوني :

حبّيت أهيف رقيق الحصر صابوني  
والله لو فتشوا قلبي لصابوني  
ولبدر الدين الدماميني، في صايغ :

وصايغ شادن هام الفؤاد به  
يا ليتني كنت منفاحاً على فمه  
وحبه في صميم القلب قد رسخا  
حتّى أقبل فاه كلما تقخا

نواه قلبي فسرّه إذ ذاكا  
قال نعم مذ عشقت سبّاكا  
به قد ذبت وجداً من ضجيج  
يلذّ لي الركوب على السروج

لكلّ حين قد غدا راويه  
وعبرتي من صبوّتي راويه

فكأنّه من خمر فيه قد انتشا  
وإليه قلبي لم يزل متمطّشا

أطفي بها من كبدي جمره  
أن تتبع الشربة بالحسره

جميع الحسن منسوب إليه  
يذوب الشمع من أسف عليه

لما هجر قلت عين الناس صابوني  
ماخلت عنه ولو بالنبل صابوني

وله أيضاً في طيب :

طبيب يحاكي الفصن في حركاته  
عجباً له يبرى السقام بلطفه  
أصيرّ روحى فى هواه سبيلاً  
وبطرفه يدعى السقام عليلاً  
وله فى طحان :

لله طحان تبدى وجهه  
وجناته ماء ولكن قلبه  
قرأ له قر السماء رقيق  
حجر وأما خصره فدقيق  
وله أيضاً فى عطار :

قلت لمطار به صبوتى  
أسقيتنى كأس غرامى به  
محمودة والصبر لا يستطاب  
ذبت ومن فيك برانى الشراب  
وفى ملىح جالس عند عطار :

وعطار مررت عليه يوماً  
فقلت له أعندك ماء ورد ؟  
وجدت بجنبه ظيلاً رمانى  
فقال : نعم ، وعندى ما لسانى  
ولابن الفرس ، وأجاد ، فى عوام :

يا حسن عوام كفنصن النقا  
ويقنع العشاق منه بأن  
يخل بالوصل لمن هاما  
يريهم الأرداف إن اما  
وقال آخر ، وأجاد ، فى فاخران :

سباني فاخران بديع حسن  
فهمت من الفرام له بحب  
رى فى القلب بالبحران جره  
وقصدى منه أن أحظى بجره  
وفى قباني :

أشرت إلى الحبيب وقد تبدى  
فدلّ بحسنه تيهاً ونادى  
بقبّانٍ ودمع العين سايلى  
إشارات الحب لها دلايل  
وللسيد محمد رضوان الرعاد - فى قصاص :

أشكو إلى الله قصاصاً يجرّ عني  
إن تحسن القصّ يمناه فقلته  
بالصد والهجر أنواعاً من القصص  
أيضاً تقصّ علينا أحسن القصص





وفي ملالي :

ملالي العراق نوى حجازا      به المشاق وجداً قد أمالا  
إذا سألوا وداعاً لم يجبههم      بلا إيه ولا نعم ولا لا  
وقال ابن عربي، في ناتف :

وقالوا دع المحبوب وأهجره دائماً      ألم تره بعد الملاحه ينتف  
أينتف من أجلى ويتعب نفسه      وأهجره تالله ما أنت منصف  
ولابن الوردي، في نطاع :

هويت نطاعاً إذا جيته      بادرنى باللحظ والصنع  
أروم أن أحظى بوصله وقد      قابلنى بالسيف والنطع  
وللسراج الوراق، في ورقاق :

يا حسن ورقاق أرى خده      قد راق في التقبيل عندى ورق  
تميس في الدكان أعطافه      ما أحسن الأغصان بين الورق  
وقال ابن حبيب فيه أيضاً :

فنتت بحسن ورقاق تقور      بقباب الصبّ نار البحر أصلاً  
صقيل الوجه كم ذرح لديه      وبفضب إن طلبنا منه وصلاً  
وللسيد محمد رضوان الرعاد، في وقاد :

أحببت وقاداً كبدر طالع      أنزلته برضى الغرام فؤادى  
وأنا الشهاب فلا تعاند عاذل      إن ملت نحو الكوكب الوقادِ  
والصفدى، في قطان :

قطاننا      مرفهف      تمتله      أردافه

ناديت من وجدى به      ياليتنى      ندافه

وله في بيع مرسين :

يا صاح مرسيننا لو زارنى      يوماً لكان بوصله يشفينى  
لما نظرت إلى رياض حدوده      سلب الفؤاد عذاره المرسينى

وله، في بيع نرجس :

بالروح أفدى فوجيا خدّه  
لما دنا ونظرت روض جماله  
ورد وآس عذاره كالسندس  
زَهَتْ طرفي في عيون النرجس

وله، في بيع بنفسج :

سبا بنفسجنا  
لما بدا في خدّه  
بحسنه قلبي الشجى  
عذاره البنفسجى

وله، في بيع تفاح :

لله من بيع تفاح إذا  
لما نظرت لحسن نرجس كفه  
غلبني بحسن جبينه الوضاح  
هام الفؤاد بخدّه التفاح

وله، في بيع سفرجل :

لله من سفرجلي شاقنى  
حيّا بكاس الراس مع القرنفل  
بنفج طرف بابليّ الحلـ  
ما أحسن الراح مع السفرجل

وله، في بيع الورد :

لله وردٌ نبا البديع سنا  
لما تأملت روض وجنته  
وما جرى في الثمر من شهد  
تيمّ قلبي بخدّه الورد

## عداوة النساء

طاعتهن تردى العقلاء وتذل الأعزاء :

ذمّ بعض الحكماء من القدماء - جماعة النساء ، فقال :

هنّ نار توهج ، وسلّم إلى كلّ بلاء ، وهنّ مثل شجرة الدفلى ، لها رونقٌ وبها ثمر  
إذا أكله البعير آذاه وقد يودى به .

ومن أمثالهم : طاعة النساء تردى العقلاء ، وتذلّ الأعزاء . . .

ونظر بعض الصالحين إلى امرأة تزين وتعتطر ، فلما فرغت من زينتها ظهرت محاسنها  
وزاد جمالها ، فقال لمن حوله : إنّما المرأة مثل النار إذا زيد في حطبها تأججت واشتدّ حرّها ،  
وضاءت للناس ، فهي حسنة النظر ، تحرق من دنا منها .

وقال بعض الحكماء : الكيس من لم تضطره النساء . وقال أيضاً : من كانت لذته في النساء ،  
وقع في أعظم البلاء . .

وقال : من أراد أن يعيش عيشة رغد ، ويحيا حياة بلا نكد ، فلا يشغل فكره بشهوة  
النساء ، ولا يوى إليهن بطرفه ولا بيده .

وقال حكيم : كلّ أسير يفتكّ إلاّ أسير النساء فإنه غير مفكوك ، وكلّ مالك يملك  
إلاّ مالك النساء فإنه مملوك ، وما استرعين شيئاً قط إلاّ وضاع ، ولا استؤمنّ على سرٍّ إلاّ  
ذاع ، ولا أطقن ثمرًا ففصرن عنه ، ولا حوين خيرا فأبقين منه ، فقليل له :

كيف تذهبن ، ولولا هنّ لم تكن أنت ولا أمثالك من الحكماء ؟ !

فقال : مثل المرأة مثل النخلة الكثيرة السلاء ، لا يلامسها جسدٌ إلاّ اشتكى ، وحملها  
مع ذلك الرطب الطيب الجنى . والسلاء : جمع سلاة وهي شوك النخل . .

وروى فيهن : أنهن محملات الآصار ، ومكلفات الأوزار ، وأكثر أهل النار ، ولا يصبر عليهن إلا الأخيار ، وأنهن يسرعن اللعن ، ويكثرن الطعن . وفي الحديث : أنهن يكفرن العشير ، وينكرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأيت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط !

وقال لقمان : استعذ بالله من شرار النساء ، وكن من خيارهن على حذر .  
وقيل لبقرات : أى السباع أحسن صورة ؟ فقال : النساء .

ورأى امرأة ذهبت إحدى عينيها ، فقال : قد ذهب نصف الشر .  
ورأى البحر قد حمل امرأة - فقال : شرٌّ يجنى شرّاً . . ورأى رأس امرأة على شجرة فقال : ليت كلَّ الشجر يشمر مثل هذا الثمر .

ونظرت عجوز من الفلاسفة إلى رجل يريد أن يعمرس ، وقد زين داره وزوقها وكتب على الباب : « لا يدخل على من هذا الباب شيء من الشر » .  
فقال له : « فامراتك من أين تدخل ؟ » .

وتسكلم نسوة عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال لهن : اسكنن ، فإنما أنتن لعب ، إذا فرغ لكنن ، لعب بكنن .

وقيل إن الإسكندر خرج إليه فى بعض حروبه نساء يحاربنه ، فقال لأصحابه : كفوا عنهن ، فإن ذلك جيش إن غلبناه لم يكن لنا بذلك ذكر ولا نخر ، وإن غلبنا فهى الفضيحة الباقية مع الدهر .

ورأيت فى بعض الكتب أن بعض النسوة لا يسكن مع الرجال ، وأن أزواجهنَّ يسكن ناحية منهن ، فتى احتاج الرجل إلى امرأته أتاها فقضى مدة عندها وانصرف فإذا ولدت ولداً ربته حتى يكبر وأرسلته إلى أبيه . وإن كانت جارية طمست ثديها الأيمن حتى يبس لثلاً يمنعها الطعن بالرمح ، وتركت الآخر الأيسر - لترضع به ولدها ، ومع هذا فلا تؤمن صحتهنَّ ، ولكن لابد من الأدب فى ذلك .

قال عمر رضى الله عنه : عودُوا نساءكم - لا ، فإن - نعم - تجريهنّ على الألسنة .  
 وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شاوروهنّ وخالفوهنّ »  
 وقال على - رضى الله عنه - لابنه محمد بن الحنفية : إياك يابنّى ومشاورة النساء ، فإن  
 رأيهنّ إلى الأفنّ ، وعزمهنّ إلى الوهن . واكفّ عليهنّ من أنصارهنّ بحجّبك إياهنّ ،  
 وإن استطعت ألاّ يعرفنّ غيرك فافعل ، ولا تطلّ الجلوس معهنّ فيهلككنّ وتعلمنّ ، واستبق  
 من نفسك بقيّة .

وقال النّبىّ عليه الصلاة والسلام : « كمل من الرجال كثير ، ولم تكلّم من النساء  
 إلّا امرأتان : آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران .  
 وخطب النّبىّ عليه صلوات الله وسلامه - نسوة فقال لهنّ : « إن كنّ إذا جمعتنّ دقعتنّ ،  
 وإذا شبعتنّ أثيرتنّ » . وفى بعض الروايات ورد - بدلاً من لفظ ( أثيرتنّ : حجلتنّ ) .  
 ومعنى ( دقعتنّ : خضعتنّ ولصقنّ بالدقواء ، وهى غبرة التراب ، ويقال - فقرّ مدقع ،  
 أى ملصق بالدقواء . وقالوا : رماه الله بالدوقمة ، وهى الفقر والذلّ ، وجوع ديقوع - أى :  
 شديد .

وقال النّبىّ عليه أفضل الصلاة والسلام - فى النساء : « ما تركتُ بعدى فتنةً أضرتُ على  
 الرّجال من النساء » . وفى الشهاب : النساء حباثل الشيطان . وقال سعيد بن المسيّب رحمه الله :  
 ما أيس الشيطان من شئٍ إلّا أتاؤه من قبل النساء . وقال وهو ابن أربع وثمانين سنة ،  
 وقد ذهبَ بصره : ما شئٍ أخوف عندى من النساء . وقال بعضهم فى هذا المعنى :

أضرتُ شئٌ على الإنسانِ شهوتهُ	تلك التى أوردتهُ لُجّةَ النّكدِ
إنّ الفضولَ لعمرُ الله أدخلهُ	فى أن يكابدَ همّ الأهلِ والولدِ
يحتاج داراً وأهلُ الدّارِ يطلبهُ	كلُّ بشهوتهِ ، فليعطِ ، أو .. يعِدِ
فاضطرّه الحال أن يسعى ليرضيهم	فظلّ من بلدٍ يسرى إلى بلدٍ
كأنه حَجَرٌ يرمى به نَزَقٌ	من هاهنا هنا ، أو من يدٍ ليدٍ
ما همّه الدهرُ إلّا ما يؤلّفهُ	وما يجمّعه من جيّدٍ ورديّ

وما يبالي حراماً منه ذاك أنى  
حتى إذا اجتمعت تلك المكاسب من  
أمتى يُفرّقها فيهم ونَيْقُهُ  
ورُبّما أسخط المسكين خالقه  
الفرّض ضيّعه ، والدّين أتلفه  
وكلّ ذلك من أجل النساء ، فلا  
يسلّبن لبّ ذوى العقل الرصين ، كما  
ياربّ شهوة وقت أورث غصصاً  
قد كان في شغل عنهنّ قاطبةً  
لكنّه عميت عن ذاك مُقلّتهُ

ومن شعر أبي العمران الميرتلى رحمه الله :

وقالوا : تزوّج فنعم الفتاة  
ولو أستطيع لطلّقت نفسي  
أشقى بها دون ما ضرة  
وما تقنع العرس متى بشىء  
فنفسي أولى بنفسى ، ودع  
عرّضنا عليك تنل خيرها  
فكيف أضيف لها غيرها  
وآمن من ضرة ضيرها  
سوى أن تصيرنى غيرها  
سواها تسر وتصل سيرها

بنات الأربعين من الرّزايا :

أنشدنى أبو عبد الله اليزيدى ، قال : أنشدنى عمى لمحمد بن عبد الله بن طاهر :

مطيات السرور بنات عشر  
فإن جاوزتهنّ فسر قليلاً  
مقاساة النساء مع اللّيالى  
بنات الأربعين من الرّزايا  
إذا أولدتهنّ من البلايا

## طرائف عن الحب

حيلة عاشق :

كان لأبي العتاهية الشاعر العباسي نوادر لطيفة مع « عتبة » جارية المهدي ، تدُلُّ على كمالِ ظرفه ؛ ومن ذلك ما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد قال :

إنَّ أبا العتاهية لما ألحَّ في أمر « عتبة » - لأول دخوله بغداد ، ولم يزل منها شيئاً ، وجدها يوماً قد جلست في أصحاب الجوهر ، فمضى فلبس ثياب راهب ، ودفع ثيابه إلى إنسان كان معه ، وسأل عن رجل كبير في السوق ، فدُلَّ على شيخ صائغ ، فجاء إليه فقال : إنِّي قد رغبت في الإسلام على يدي هذه المرأة . . يعني « عتبة » .

فقام الشيخ الصائغ وجمع جماعة من أهل السوق ، وجاء إلى « عتبة » فقال لها : إنَّ الله قد ساق إليك أجراً ، هذا هو راهب قد رغبت في الإسلام على يدك . فقالت : هاتوه . فدنا أبو العتاهية منها - وهو في زيِّ الراهب - فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله . ثم قطع الزنار ، ومال على يديها فقبَّلها .

فلما فعل ذلك ، رفعت البرُّنس عن وجهه ، فمرَّفته وقالت : نَحْوْهُ ، لعنه الله ! فقالوا لها : لا تلغينه فقد أسلم . فقالت : إنما فعلت ذلك لِقَدَرِهِ . فعرضوا عليه كسوة ، فقال : ليس لي حاجة إلى هذه ، وإنما أردتُ أن أشرُفَ بولائها ، فالحمد لله الذي منَّ عليَّ بمحضوركم .

وجلس أبو العتاهية ، فجعلوا يعلمونه ( الحمد ) وصلى معهم العصر ، وهو في ذاك ينظر إليها ، لا تقدر له على حيلة !

وحدث البرِّدُ : أن « رَيْطَةَ » بنت أبي العباس السفّاح ، وجَّهت إلى عبد الله بن مالك الخُزاعي في شراء رقيق للعتق ، وأمرت جاريَّتها (عُتْبَةَ) - وكانت لها ثم صحبت « الخيزران » بعدها - أن تحضر ذلك . فإيَّها لجالسة إذ جاء « أبو العتاهية » في زيِّ متنسك فقال لها :



جعلني الله فداك ، شيخ ضعيف لا يقوى عَلَى الخدمة . فَإِنْ رَأَيْتَ - أَعَزَّكَ اللهُ - شِراً  
وعتق ، فعلت مأجورة . فأقبلتُ على عبد الله فقالت : إِنِّي لَأَرَى هَيْئَةً جَمِيلَةً ، وَضِعْفاً ظَاهِراً ،  
وَلِسَاناً فَصِيحاً ، وَرَجَلاً بَلِيغاً ، فَاشْتَرِهِ وَأَعْتَقْهُ . فقال : نَمْ أَفْعَلْ . ثُمَّ قَالَ لَهَا أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :  
أَتَأْذِنِينَ لِي - أَصْلَحَكَ اللهُ - فِي تَقْبِيلِ يَدِكَ ؟ فَأَذْنَتْ لَهُ ، فَقَبَّلَ يَدَهَا وَانْصَرَفَ .  
فَضَحِكَ عَبْدُ اللهِ بْنِ مَالِكٍ وَقَالَ لَهَا : أَتَدْرِينَ مِنْ هَذَا ؟ فَقَالَتْ : لَا . قَالَ : هَذَا أَبُو الْعَتَاهِيَةِ ،  
وَإِنَّمَا احْتَالَ عَلَيْكَ حَتَّى قَبَّلَ يَدَكَ !

### بين الحبِّ والمال :

وكان أبو العتاهية قد قصد بنداد من الكوفة ، مع زميلين له ، ليستفيد بشعره عند أمرائها ،  
ولم يكن لهم في بنداد من يقصدونه ، فنزلوا غرفةً بالقرب من الجسر ، وكانوا يبكيرون فيجلسون  
بالمسجد الذي بباب الجسر ، في كلِّ غداة . فرَّتْ بهم يوماً امرأة راكبة ، معها خدم سودان .  
فقالوا : من هذه ؟ قالوا : خالصة . فقال أحدهم : قد عشقت خالصة . وعمل فيها شعراً أعانوه عليه .  
ثمَّ مرَّتْ بهم أخرى ، راكبة أيضاً ، ومعهما خدم بيضان . فقالوا من هذه ؟ قالوا : هذه  
( عتبة ) فقال أبو العتاهية : قد عشقت عتبة . وعمل فيها شعراً .

ولم يزالوا كذلك ، حتى شاع الشعر المصنوع إلى الجاريتين ، وتحدث النَّاسُ بعشوق  
أبي العتاهية وزميله لهما . فقال صاحبا الجاريتين : نمتحن العاشقين بمال على أن يدعا التعرّض  
للجاريتين . فإن قبلا المال كانا مستأكلين ، وإن لم يقبلاه كانا عاشقين .

فلما كان الند ، مرَّتْ ( عتبة ) فعرض لها صاحبها ، فقال له الخدم : اتبعنا ، فتبعهم ،  
فضت به إلى منزل خليط لها يزار . فلما جاست دعت به فقالت له : يا هذا ، إِنَّكَ شاب ،  
وأرى لك أدباً ، وأنا حرمة خليفة . وقد تَأْنَيْتُكَ ، فَإِنْ أَنْتَ كَفَفْتَ وَإِلَّا أَنْهَيْتُ ذَلِكَ إِلَى أَمِيرِ  
المؤمنين ، ثُمَّ لَمْ أَمْنْ عَلَيْكَ .

فقال لها أبو العتاهية : فافعلی ، بأبی أنت وأمی ، فإنك إن سفكت دمی أرحتني . فأسألك بالله إلا فعلت ذلك إذا لم يكن لی فیک نصيب . !

فقالت له : أبقى على نفسك ، وخذ هذه الخمسة دینار ، واخرج عن هذا البلد . فلما سمع ذكر المال ولی هارباً ، فقالت : ردّوه ، وألحّت عليه فيها . فقال لها : جُمِلْتُ فداك ، ما أصنع بمرّض زائلٍ من الدنيا وأنا لا أراك ؟ . . والله إنك لتبطنين يوماً واحداً عن الركوب ، فتضيق على الدنيا بما رَحَبَتْ . فزادت له في الدنانير ، وما زالت تلحّ عليه فلا يزداد إلا رفضاً .

قليل منك يكفينی :

ومن ألطف ما قاله أبو العتاهية في ( عتبة ) قوله :

بالله يا خُلوةَ العینينِ زوريني	قبلَ المماتِ ، وإلا . . فاستزيريني !
هذان أمران ، فاخترى أحبهما	إليك ، أو .. لا . فداعى الموتِ يدعوني
إن شئتَ مَوْتاً ، فأنتِ الدهرَ مالكةٌ	روحي ، وإن شئتَ أن أحيَا ، فأحييني
يا ( عُتْبَ ) ما أنتِ إلا بدعةٌ خُلِقَتْ	من غير طين ، وخُلِقَ النَّاسُ من طينٍ
إني لأعجبُ من حبِّ يقرَّبُني	مما يباعدني عنه ، ويقصيني
لو كان يُنصِفني مما كِلَفْتُ بِهِ	إذن .. رضيتُ ، وكانَ النصفُ يرضيني
يا أهلَ ودِّي . . إني قد لَطَفْتُ بكم	في الحبِّ - جَهْدِي - ولكن .. لا تبالوني
الحمد لله ، قد كُنَّا نظنُّكمو	من أرحم الناس - طرّاً - بالمساكين
أما الكثير ، فلا أرجوه منك ، ولو	أطعمتني في قليلٍ كان يكفيني

وله فيها قصائد كثيرة أخرى ، يقول في إحداها :

ألا يا ( عُتْبَ ) يا قمرَ الرّصافه	ويا ذات الملاحه والنظافه
رزقت مودتي ، ورزقت عطفی	ولم أرزق - فديتك - منك رافه
وصرتُ من الهوى دَنَفاً سقيماً	صريعاً كالصريع من السّلافه
أظُلُّ إذا رأيتك مُستَكيناً	كأنك قد بُعِثتِ على آفه

ومن قوله فيها أيضاً :

قَالَ لِي أَحَدٌ ، وَلَمْ يَدِرْ مَا بِي  
فَتَنَفَّسْتُ ، ثُمَّ قُلْتُ : نَعَمْ ، حَبًّا  
لَوْ تَجَسَّيْتَ يَا (عُتْبَةَ) قَلْبِي  
قَدْ لَعَمْرِي مَلَّ الطَّبِيبُ وَمَلَّ الـ  
لَيْتَنِي مَتَّ فَاسْتَرَحْتُ ، فَإِنِّي  
أَتُحِبُّ النَّدَاةَ (عُتْبَةَ) حَقًّا ؟  
جَرَى فِي الْعُرُوقِ ، عَرَقًا فَرَقًا  
لَوَجَدْتَ الْفُؤَادَ قَرَحًا . . تَفَقًّا  
أَهْلُ مَنَى ، مِمَّا أَقَاسَى وَالْقَمَى  
أَبَدًا - مَا حَيَّتْ - مِنْهُ مُلْقَى

وفيه يقول :

(عُتْبَةُ) مَا لِلْخَيَالِ  
لَا أَرَاهُ . . . أَنَانِي  
لَوْ . . . رَأَى صَدِيقِي  
أَوْ . . . يَرَانِي عَدُوِّي  
خَبَّرِيْنِي وَمَالِي ؟  
زَائِرًا . . . مُذْ لَيْلٍ  
رَقَّ لِي ، أَوْ رَثَى لِي  
لَانِ مِنْ سُوءِ حَالِي

من الحب إلى الزهد :

وحدث أبو العباس : أحمد بن يحيى ثعلب ، قال :

كان أبو العتاهية قد أكثر مسألة الرشيد في (عُتْبَةُ) - فوعده بترويحها ، وأنه سيسألها  
في ذلك فإن أجابت جهزها له وأعطاه مالا عظيما . ثم إن الرشيد سئله شغل استمر به ،  
فحجب أبو العتاهية عن الوصول إليه . فدفعت إلى (مسرور) الكبير ثلاث مراوح ، فدخل بها  
على الرشيد وهو يتبسم ، وكانت مجتمعة ، فقرأ على واحدة منها مكتوبا :

وَلَقَدْ تَسَمَّتُ الرِّيحَ لِحَاجَتِي  
فَإِذَا لَهَا مِنْ رَاحَتِكَ شَيْمٌ  
فَقَالَ الرَّشِيدُ : أَحْسَنَ الْخَبِيثُ . إِذْنُ . . عَلَى الْبَالَانِيَةِ . وَكَانَ مَكْتُوبًا عَلَيْهَا :

أَعْلَقْتُ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ مَالَهُ  
عَنْقُ يَحْثُ إِلَيْكَ بِي ، وَرَسِيمُ

فقال الرشيد : على الثالثة ، وكان مكتوبا عليها :

وَلَرُبَّمَا اسْتِيَأَسْتُ ، ثُمَّ أَقُولُ : لَا  
إِنَّ الَّذِي ضَمِنَ النِّجَاحَ كَرِيمُ

فقال الرشيد : قاتله الله ، ما أحسن ما قال ، ثم دعا به ، وقال له : قد ضمنت لك يا أبا العتاهية ، وفي غدٍ نقضى حاجتك إن شاء الله ، وبعث إلى ( عُمَيْبَةَ ) وقال لها : إن لي إليك حاجة ، فانتظريني الليلة في منزلك .  
فأكبرت ( عتبة ) ذلك وأعظمته ، وصارت إليه تستعفيه ، فحلف ألا يذكر لها حاجته إلا في منزلها .

فلما كان الليل سار إليها ومعه جماعة من خواص خدمه ، فقال لها : لست أذكر حاجتي أو تضمين قضاءها ؟ قالت : أنا أمتك ، وأمرك نافذ في .. فيما خلا أمر أبي العتاهية ، فأتى حلفت لأبيك رضى الله عنه - بكل يمين يحلف بها برٌّ وفاجر . وبالشئ إلى بيت الله الحرام حافية ، كلما انقضت عني حجةٌ وجبت على أخرى ، لا أقصر على الكفارة ، وكلما أفدت شيئاً تصدقت به ، إلا ما أصلي فيه .

وبكت بين يديه ، فرق لها ورحمها ، وانصرف عنها .

وغدا عليه أبو العتاهية ، فقال له الرشيد : والله ما قصرت في أمرك ، ومسرور وحسين ورشيد وغيرهم شهود لي بذلك . وشرح له الخبر .

قال أبو العتاهية : فلما أخبرني الرشيد بذلك ، مكثت ملياً لأدرى أين أنا قائم أو قاعد ؟ قلت : الآن يئست منها إذ ردتك ، وعلمت أنها لا تجيب أحداً بعدك .

ثم لبس أبو العتاهية الصوف ، وتزهد ، وقال في ذلك شعراً كثيراً ، منه قوله :  
قطعت منك حبايل الآمال وحططت عن ظهر المطى رحلي  
ووجدت برد اليأس بين جوانحي ففنيت عن حلٍ وعن ترحالٍ

وروى أبو سلمة الغنوي أنه قال لأبي العتاهية : ما الذي صرفك عن قول الغزل

إلى قول الزهد ؟ فقال أبو العتاهية : إذن والله أخبرك ، إنى لما قلت :

الله يبنى وبين مولاتى	أبدت لى الصد والمالات
منحها مهجتي وخالصتي	فكان هجرانها .. مكافاتي !
هيمنى حبها ، وصيرنى	أحدوثاً في جميع جاراني

رأيت في المنام تلك الليلة ، كأنّ آتياً أتاني فقال : ما أصبت أحداً تدخله بينك وبين عُتْبَةِ ،  
يحكم لك عليها بالمعصية إلا الله تعالى ؟! .. فانتبهت مذعوراً ، وتبت إلى الله تعالى من ساعتى  
من قول النزل .

### مَعِيَ بَيْنَ أَضْلُعِي :

الحُبَّةُ هِيَ بِذَلِكَ الْمَجْهُودُ فِيمَا يَرْضَى الْحَبِيبُ <sup>(١)</sup> . وقيل : هِيَ سَكُونُ بِلَا اضْطِرَابٍ ،  
واضطراب بلا سَكُونٍ . يضطرب القلب فلا يسكن إلا إلى محبوبه . ولا يزال يضطرب  
شوقاً إليه حتى يسكن عنده . وهذا معنى قولهم : هِيَ حَرَكَةُ الْقَلْبِ عَلَى الدَّوَامِ إِلَى الْمَحْبُوبِ ،  
وسكونه عنده . وقيل : هِيَ مَصَاحِبَةُ الْمَحْبُوبِ عَلَى الدَّوَامِ . كما قيل :

وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّي أَحْنُ إِلَيْهِمْ      وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ لَقِيتُ وَهُمْ مَعِيَ  
وَتَطْلُبُهُمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا      وَيَشْتَاقُهُمْ قَلْبِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْلُعِي

### يَرَى الْفُؤَادَ الرُّوحِينَ يَمْتَزِجَانِ :

وقال ابن الرومي :

أَعَانِقُهَا وَالنَّفْسُ بَعْدُ مَشُوقَةٌ      إِلَيْهَا . وَهَلْ بَعْدَ الْعِنَاقِ تَدَانِ ؟  
وَأَلْتِمُ فَاهَا كَيْ تَزُولَ صَبَابَتِي      فَيَشْتَدُّ مَا عِنْدِي مِنَ الْخَلْفَانِ  
وَلَمْ يَكْ مُقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الْجَوَى      لِيَشْفِيَهُ مَا تَرَشَّفَ الشَّفَتَانِ  
كَأَنَّ فُؤَادِي لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلَهُ      سِوَى أَنْ يَرَى الرُّوحِينَ يَمْتَزِجَانِ

لئن ساءنى لقد سرنى :

وقال عبد الله بن الدمينه :

ولو قلت : طأ في النار، أعلم أنه  
لقد متُّ رجلى نحوها ... فوطئتهما  
لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة  
رضاً لك أو مُدني لنا من وصالك  
هُدى منك لي، أو.. ضلة من ضلالك  
لقد سرّنى أنّى خطرتُ ببالك

المشوق عفة ونزاهة :

قال الشاعر :

إذا كان حظُّ المرء ممن يحبّه  
حديثٌ كماء الزن بين فصوله  
ولم فم عذب اللثات، كأنما  
وما المشوق إلا عفة ونزاهة  
وإني لأستحي الحبيب من التي  
حراماً، فخطى ما يجلُّ ويَجْمَلُ  
عتابٌ به حُسنُ الحديثِ يفصلُ  
جناهن شهد فت فيه القرآنُ  
وأنسُ قلوبِ أنسهنّ التّغزلُ  
تُريبُ، وأدعى للجميل فأجلُ

الطّرف رسولٌ رائدٌ للقلب :

قال الأصمعي : رأيت جارية في الطّواف كأنها مهابة ، فجعلت أنظر إليها وأملأ عيني  
من محاسنها ، فقالت لي : يا هذا ما شأنك ؟ قلت : وما عليك من النظر ؟ فأنشأت تقول :  
وكنتم متى أرسلتَ طرفك رائداً      لقلبك يوماً ، أتمبكتَ المناظرُ  
رأيت الذي لا كله أنتَ قادرٌ      عليه ، ولا عن بعضه أنتَ صابرُ

وقال الفرزدق :

تزوّد منها نظرة لم تدع له  
فلم أر مقتولاً ، ولم أر قاتلاً

وقال آخر :

ومن كان يؤتى من عدوّ وحاسدٍ  
ها اعتوراني : نظرة ثم فكرة

وقال ابن المعتز :

مقيمٌ يرعى نجومَ الدُّجى  
عيني أشاطت بدى فى الهوى

وقال الأرجاني :

تمتّعتمُ يا مُقلتيّ بنظرةٍ  
أعيني كُفّا عن فؤادى فإنه

وقال آخر :

عابتُ قلبي لَمّا  
فألزَمَ القلبُ طرفي  
فقال طرفي لقلبي  
فقلت : كُفّا جميعاً

رأيتُ جِسمى نحيلاً  
وقال : كنتَ الرّسولاً  
بل كنتَ أنتَ السّوّلاً  
تركتماي قتيلاً !

## لَذَّةُ الْحَبِّ كُلِّهَا :

قال الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية :

« ليس للقلب والروح الذَّوْلُ ولا أطيبُ ، ولا أحلى ولا أنعم ، من محبة الله ، والإقبال عليه ، وعبادته وحده ، وقرّة العين به ، والأنس بقربه ، والشوق إلى لقائه ورؤيته . وإنّ مثقال ذرّة من هذه اللذّة لا يُمدّل بأمثال الجبال من لذات الدنيا » .

وقال بعض العارفين : « مَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللَّهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ . ومن لم تقرّ عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ، ويكفى في فضل هذه اللذّة وشرفها أنّها تخرج من القلب ألم الحسرة على ما يفوت من هذه الدنيا ، حتى إنه ليتألّم بأعظم ما يلتذّ بها أهلها ويفرّ منه فرارهم من المؤلم . وهذا موضع - الحاكم فيه الذّوق لا مجرد لسان العلم » .

وكان بعض العارفين يقول : مساكين أهل الدنيا ، خرجوا من الدنيا ولم يذوقوا طيب نعيمها . فيقال له : وما هو ؟ فيقول : محبة الله والأنس به والشّوق إلى لقائه ، ومعرفة أسمائه وصفاته .

وقال آخر : والله إنه ليمرّ بالقلب أوقات أقول فيها : إن كان أهل الجنّة في مثل هذه الحال ، إنهم لفي عيشٍ طيبٍ . وأنت ترى محبة من محبته عذاب القلب والروح كيف توجب لصاحبها لذّة يتمنى معها أنه لا يفارق من أحبه . كما قال شاعر الحماسة :

تَشَكَّى الْمُحِبُّونَ الصَّبَابَةَ كَيْتَبَنِي      تَحَمَّلْتُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي  
فَكَانَتْ لِقَابِي لَذَّةُ الْحَبِّ كُلِّهَا      فَلَمْ يَلْقَهَا قَبْلِي حَبٌّ وَلَا بَعْدِي !



## أَحْسَنْتَ زَيْدِي :

قال عبد الله بن المبارك : عشق هارون الرشيد جاريةً من جواريه ، فأرادَهَا ، فقالت :  
 إِنَّ أَبَاكَ مَسْنَى . فشغفَ بِهَا ، وقالَ فِيهَا :

أرى ماءً وبي عطش شديدٌ      ولكن لا سبيلَ إلى الورودِ  
 أما يكفيكِ أَنَّكِ تملكيني      وأنَّ الناسَ كلهمُ عبيدي  
 وَأَنَّكِ لَوِ جَهِدْتِ على تلافِي      لقلتُ من الرِّضَا : أحسنتِ زَيْدِي

## لَذَّةُ اللَّقَاءِ شِفَاءُ :

وذكر العتبي أَنَّ شَابَّاً من ولد عثمان ، وشابَّاً من ولد الحسين ، خرجا يريدان موضعاً لهما ،  
 فنزلا تحت سَرَحَةٍ ، فأخذ أحدهما ورقةً فكتب عليها :

خَبَّرِينَا - خَصَصْتَ بِالغَيْثِ يَا سَرُّ      حُ ، بِصَدَقٍ ، وَالصَّدَقُ فِيهِ شِفَاءُ

وكتب الآخر :

هل يموتُ المحبُّ من أَلَمِ الْحُبِّ      بٌ ويشفى من الحبيبِ اللقاءُ

ثم مضيا ، فلما رجعا وجدا مكتوباً تحت ذلك :

إِنَّ جَهْلًا سَوَّاءَكَ السَّرْحَ عَمَا      ليس يوماً عليك فيه خفاءُ

ليس للعاشقِ المحبُّ من الْحُبِّ      بٌ سرى لَذَّةُ اللَّقَاءِ شِفَاءُ

\*\*\*

## دعاء في الطواف :

وقال أبو المنجاب : رأيتُ في الطواف فتى ، نحيف الجسم ، بين الضعف ، يلوذ ويتموّد ويقول :

وددت بأنّ الحبّ يجمع كلّهُ فيقذفُ في قلبي ، وينلقُ الصّدْرُ  
فلا ينقضى ما في فؤادي من الهوى ومن فرحى بالحبّ أو ينقضى العُمْرُ  
فقلت : يا فتى ، ما لهذه البنية حُرمةً تمنعك عن هذا الكلام ؟ فقال : بلى والله ،  
ولكنّ الحبّ ملأ قلبي بفرح التذكّر ، ففاضت الفكرة في سرعة الأوبة إلى من لا يشدّ  
عن معرفة ما بي . فتمنّيتُ المنى . والله ما يسرّني بما في قلبي منه ما فيه أمير المؤمنين  
من الملك . وإنّي أدعو الله أن يثبتهُ في قلبي عمرى ، ويجعله ضجيجى في قبرى ، دريتُ به  
أو لم أدّر . هذا دعائى ، أو أنصرف من حجّتى . ثم بكى . فقلت : ما يبكيك ؟ قال :  
خوف ألا يستجابَ دعائى ، وله قصدت ، وفيه رغبت !

\*\*\*

## محبة الأعداء :

من الكلمات المأثورة عن السيّد المسيح عليه السلام قوله : « أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ » .  
وقال دِعبِل الخزاعى :

أشبهت أعدائى فصرّت أحبّهم إذ كان حظّى منك حظّى منهم  
أجد الملامة في هوائٍ لذينة حبّاً لذكركِ فليكنى اللّومُ  
وقال آخر :

من كان يشكر للصديق فإننى هم صبروا طلبَ العالى ديدنى  
حتى وطئتُ بنعلّى الجوزاء ولربما انتفع الفتى بمدوّه  
أحبُّ بصلحٍ شكري الأعداء والسُّمُّ - أحياناً - يكون شفاءً

وقال آخر :

عداى لهم فضلٌ علىَّ ومِنَّةٌ  
هو بمحنوا عن زَلَّتى فاجتنبها  
فلا قطع الرحمنُ عنى الأعدايا  
وهم نافسونى فاكسبتُ المَعَاليا

وقال أحد الشعراء :

سررتُ بهَجْرِكَ لَمَّا علمـ  
ولولا سرورك ما سَرَّنى  
تُ أنَّ لقلبك فيه سرورا  
ولا كنتُ يوماً عليه صبورا

## المصادر والمراجع

جميع المصادر والمراجع مأخوذة من كتب مطبوعة ومخطوطة من رصيد الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية وهى :

١٨	التبريزى على الحماسة	١	العقد الفريد
١٩	سحر العيون	٢	خلاصة الأثر
٢٠	فوات الوفيات	٣	أمالى أبى القاسم الزجاجى
٢١	اليتيمة للثعالبى	٤	الإسعاف شرح شواهد الكشاف
٢٢	بغية الوعاة	٥	المضاف والمنسوب
٢٣	كتاب الترقيص ضمن كتاب	٦	الحیوان للجاحظ
	اتفاق المبانى وافتراق المعانى	٧	نقح الطيب
٢٤	إرشاد الأديب	٨	وفيات الأعيان لابن خلكان
٢٥	الأغانى	٩	خزانة الأدب للبندادى
٢٦	العزیز المحلى	١٠	لوعة الشاكى ودمنة الباکی للصمدى
٢٧	علم الدين لملى باشا مبارك	١١	طوق الحمامة فى الألفة والألاف
٢٨	الروض الأنف	١٢	سبحة المرجان
٢٩	الكامل لابن الأثير	١٣	شرح شواهد التحفة الوردية
٣٠	بدائع الفوائد	١٤	عيون التواريخ
٣١	روضة الأعيان للتراجم	١٥	خاص الخاص للثعالبى
٣٢	روضة المحبين ونزهة المشتاقين	١٦	مخطوط رقم ٦٤٨ شعر تيمور
		١٧	أمالى أبى على القالى

# فهرس

## كتاب الحب والجمال عند العرب

صفحة		صفحة	
٣	تمهيد لمقدمة الكتاب	٢٨	أنواع الحب
٤	دعاء مأثور	٢٨	ضروب المحبة
٥	كلمة اللجنة	٢٨	حب الولد
		٣٠	حب الأيامى واليتامى
١٣	صفات الحب وأغراضه	٣١	أمثال في الحب
١٣	الحب ما هو	٣٢	حجة بالغة
١٤	الحب والمحجوب	٣٣	حب الأزواج
١٦	عشق الشرف وعشق الجمال	٣٣	زواج النبي من خديجة
١٧	أحلام المحبين	٣٤	حب خديجة للنبي وتقديره لها
١٧	الحبيب الأول والحبيب الآخر	٣٥	خير متاع الدنيا المرأة الصالحة
١٨	الحب مع اختلاف الدين	٣٦	السيدة سكينة بنت الإمام الحسين
١٩	الحب في كل حال	٣٨	عاتكة بنت زيد
٢٠	حب النساء والمال	٤١	زواج امرئ القيس
٢٣	الحب خضوع النفس	٤٣	ولاء أم عقبة لابن عمها غسان
٢٤	أشقى الناس أهواها	٤٤	زواج حاتم الطائي
٢٥	رابعة العدوية	٤٦	حب سحيم لعائشة بنت طلحة
٢٥	الحب أحسن المعاصي	٤٧	الثريا وعمر بن أبي ربيعة
٢٦	الهوى قدر	٤٩	أبو الأسود الدؤلى وامرأته وابنهما
		٤٩	المجرد والمرأة التي تبعها

صفحة		صفحة
٧٦	الغزل ووصف النساء	٥١ الشعراء العشاق
٧٦	الغزل والتغزل والفرق بينهما	٥١ جميل بثينة
٧٦	ياليل الصب متى غده	٥٣ كثير عزة
٧٨	استحسان وضاعة الوجه	٥٤ عمر بن أبي ربيعة
٧٩	كواكب لا كواكب	٥٥ من شعر أمية بن الصلت في الغزل
٨٠	كل فتاة بأبيها معجبة	٥٦ حب امرئ القيس
٨١	أصل بليتي من قد غزاني	٥٧ ذو الرمة وميمية
٨٢	تشبيب عمر بن أبي ربيعة	٥٧ توبة وليلي الأخيلية
٨٣	صبح المشيب يدل على ليل الشباب	٥٩ عبد الله بن طاهر وجاريتته
٨٣	الشاعر الغزال	٦٠ بحر هوى ليس له شط
٨٤	غزال قد غزا قلبي	٦٠ حب زينب بنت إسحاق النصراني
٨٥	غرام أم جنون	٦١ التائب من الحب
٨٦	سلموس وسلمسة	٦٢ الحب والجمال
٨٧	عاتكة بنت معاوية	٦٢ حب امتداح النساء
٨٨	وصيفة مهدوية في مجلس ابن صماد	٦٣ أعرابي يصف امرأة
٨٩	وصف جارية المنذر إلى أنوشروان	٦٤ الوصف من المشاهدة
٨٩	فارس عربي جميل	٦٦ أسنان النساء
٩١	غنيه : شحاذه	٦٦ دارة يلعب فيها البدر
٩٢	العيون	٦٧ المرأة والطبيب
٩٢	لأعذب العين	٦٧ تتف الوجه بالخيط
٩٣	معاني لفظ العين	٦٨ تشبيه المرأة ببدر السماء
٩٥	وصف العين وأسماء أجزائها	٦٨ لقاء فتى جميل الوجه في الجنة
١٠٠	آفة النظر وغائلته	٧٠ تسكني المرأة بالشاة أو البيضاء
		٧١ في أسماء النساء

الصفحة	الصفحة
١٤٠	١٠٢ تعدد الزوجات والأزواج
١٤٠	١٠٢ هند وأبو سفيان
١٤٣	١٠٢ حكمة التعدد في الإسلام
١٤٤	١٠٥ المرأة التي تزوج عليها زوجها
١٤٤	١٠٦ عدم زواج الرجل بمن يهواها
١٤٥	١٠٦ رؤية الرجل المرأة عند تزوجها
١٤٦	١٠٨ رايات من خمر النساء
١٤٧	١٠٩ كشف وجه المرأة في الإحرام
١٤٩	١١٠ المرأة لعبة زوجها
١٤٩	١١٠ مات زوجها فتزوجت
١٥٠	١١٢ وفاء عائشة بنت طلحة لزوجها
١٥٠	المتوفى
١٥٠	١١٣ القبلة وإباحتها
١٥٢	١١٥ محاسن الخلق والخلق
١٥٣	١٢٢ ما قيل في الأسماء
١٥٣	١٣٢ ما قيل في المهن والحرف
١٥٤	
١٥٤	